مخبأ في جبل الأيائل



م. هـ لانستك

ترجمة: رياض العطار

مخبأ في جبل الأبائل

ترجمة رياض العطار

محبا في حقل الأيائل
ترجمة رياض العطار
الطبعة العربية الاولى ١٩٩٠

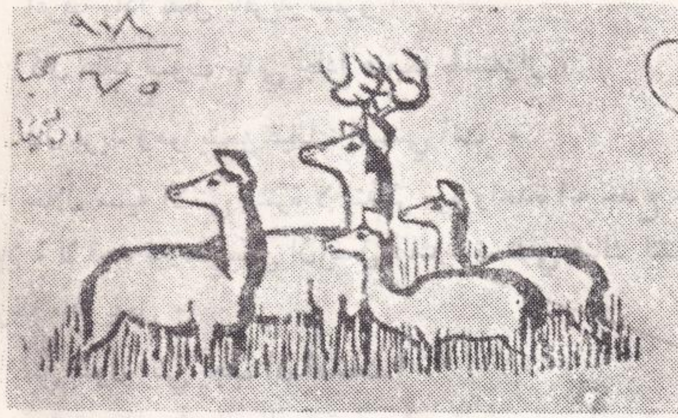
الناشر وزارة الثقافة والاعلام - دار ثقافة الاطفال العراق
- بغداد - بريد ٨ شباط ص. ب ٨٠٤١

تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام فاروق سلوم
سكرتير التحرير فاروق يوسف

مخبأ في جبل الإيائل

الكــوخ

كان لوح السلم الثالث من الاعلى يصر • أراد (فريد) أن يتجنب اصـدار أي صوت • وفي ضـوء الصباح الباكر ـ ذلك الضوء الشاحب الضئيل ـ كان من الصعوبة بمكان رؤية موطىء القدم جيدا • توقف عند الدرجة الثانية وأصغى •



لم يكن يسمع صوت في المنزل • كان باب غرفة والديه محكم الاغلاق ، لكن فريد لم يكن يخشى أن يسمعه والده • كان سماع (جاني) له هو المهم •

نظر الى بـاب غرفتهـا • هـل كان مواربا ؟ ضيق عينيه الزرقاوين متشككا • يبدو أن جاني تتجسس عليه •

« جاني ؟ » قالها هامسا ليتأكد ، ربما ترد عليه لو سمعته • ولكن ، لابد أن جاني نائمة الآن • يستطيع فريد ان يتصور كيف

تبدو ، ضفيرتاها منشورتان على وسادتها ووجهها المدبب الصغير بأنفه المنمش يستلقي مسالما وساكنا . لم يكن طبيعيا أن تبدو جاني ذات الاحد عشر ربيعا ساكنة أو مسالمة . كانت في معظم الاوقات متوثبة كالبهلوان .

سحب فريد نفسا عميقا وخطا خطوه . انزلقت قدمه واستقر على مؤخرته بقوة فوق الدرجة الثالثة التي تصر .

— اعرف ماذا تفعل يافريد سمرز !

كان ذلك صوت جاني جادا هامسا باستفزاز .

قال فريد وهو يتميز غيظا : اصمتي أنتِ .

خلال سنيه الاثنى عشرة لا يتذكر مرة واحدة أنه خدع جاني طويلا . لا أحد غيرها يمكن ان يفعل ذلك . تستلقي هناك لتتسمع وتعرف ماذا يفعل .

— من يقول انني يجب أن أصمت ؟

برزت جاني في الصالة ترتجف في منامتها . انحنت فوق درابزين السلم :

— اعرف انك وهانك لديكما سر . لا تشغل بالك . سأعرفه قال فريد :

— ستبقين مضحكة !

لكنه قالها بثقة اكبر من التي يشعر بها فعلا . كانت لجاني طريقتها في اكتشاف ماينوي هو وهانك القيام به . واكمل :

— اهتمي بما يعنيك فقط .

انحرف انف جاني المنمش الى جانب وقالت :

— اعتقد انك مجنون كي تتسلل مبكرا هكذا ٠ هذا منتصف اكتوبر وسوف تتجمد من البرد ٠

واستمر نازلا على السلم ثم خرج من الباب الامامي بسكون تام ٠ كان يقول لنفسه (احيانا تكون الاخوات كالشوكة في الخاصرة هانك محظوظ ٠ جده هو كل ماعنده ٠ وهو مسن جدا ولا يشغل نفسه بالتجسس على الاخرين) ٠

كان الجو يعبق بأريج نفاذ وكانت على الحشائش طبقة رقيقة من الثلج ٠ كانت الاوراق الحمراء والصفراء قد بدأت تتساقط من اشجار القيقب في الساحة ٠ فكر بالاوراق التي ينبغي عليه ان يجمعها وبدأ يركض ٠ ربما يفكر والده أن الاوراق يجب أن تجمع هذا اليوم ٠

تسلق السياج الخلفي وقفز الى الفسحة الممتدة خلف البيت المجاور ٠ يوجد بستان تفاح هنا ٠ مجموعة من اشجار الفاكهة توفر غذاء جيد لجميع صبيان القرية اذا كانوا من الحذق والشطارة بمكان ليتمكنوا من الوصول الى التفاح قبل ان يمسك بهم العجوز (تومبسون) كان فريد يعرف أين تقع شجرة الماكنتوش وانحرف عن طريقه قليلا ليرى ان كان شيء من ثمارها المتساقطة قد بقي على الارض ٠ وفي لحظة وصوله الى وسط البستان تحرك شيء ما الى يمينه ٠ استدار فريد بسرعة ليرى أيّلاً ذكرا هائل الحجم مع اثاه وخشفين صغيرين ٠ كانوا قد برزوا من خلف الاشجار ٠

كان منظر الايائل رائعا وهي تقف هناك ساكنة ومتحفزة في ضوء الصباح • خفق قلب فريد بعنف • لفترة طويلة راحت الايائل ترقبه ، عيونها مدورة وآذانها مائلة للامام • كانت تبدو كظلال رمادية هائلة • البقع البيضاء حول عيونها وعبر رقابها كانت تشبه نثار أصباغ زاهية •

لم يجرؤ فريد على تحريك عضلة واحدة من جسمه خشية ان يفزع الايائل ، لكنه لاحظ أن الذكر كان يحمل زوجا من القرون المتشعبة العملاقة فوق رأسه الشامخ الفخور •

(لابد ان لكل قرن ستة رؤوس مدببة) فكر فريد بذلك وهو ينظر الى القرنين المرتفعين فوق الرأس بشعبهما المنتشرة كتاج ملكي مهيب • بعد ذلك رأى فريد أذني الايل الذكر تنتفضان ، لابد أنها اشارة لها دلالتها لان الانثى والخشفين اقتربوا اكثر من الذكر طلبا للحماية • ومرة اخرى حدقت اليه الازواج الاربعة من الاعين وانحنت الآذان الثمان الى الامام • وبينما فريد يحدق الى الايائل اشار الذكر باذنيه مرة أخرى• وتحركت الايائل ، استدارت وكأنها تدور على محور واحد ثم انطلقت نحو السياج • بدا من تحت ذيولها شعاع أبيض واختفت بين التقاط نفس وآخر • (وييو) صفر فريد ليطلق انفاسه المحبوسة • لابد ان ارتفاع السياج يزيد على ستة أقدام • لقد اجتازته الايائل بسهولة وكأنها تجتاز غصنا مطروحا على الارض •

نظر فريد الى منطقة الاشجار حيث كانت تقف الايائل . كانت بعض قطع اللحاء قد تساقطت من الجذوع والاغصان السفلى . تمنى فريد لو أنه يستطيع تحذير الايائل كي تبتعد عن هذا المكان. كان العجوز تومبسون مصرا على اتخاذ موقف معادٍ من الايائل التي تدخل بستان الفاكهة .

(اراهن أنها من ذوات الذيل الابيض) كان فريد يحدث نفسه وهو يسير عبر الارض المعشبة نحو بيت هانك (بابا قال أن الكثير من هذا النوع يشاهد ـ مؤخرا في جبل الايائل) .

بدا بيت هانك مظلما وهادئا . كانت الستائر مسدلة في جميع نوافذ الطابق الثاني . غرفة هانك في الزاوية . وقف فريد تحتها وصفر لكنه لم يحصل على رد .

كانت الخطة أن يتم اللقاء في تمام الساعة السادسة في حديقة بيت هانك . لابد ان هانك استغرق في النوم لما بعد الموعد . انتظر فريد قليلا . ثم صفر ثانية .

من فوق شجرة صنوبر قريبة ارتفعت زقزقة سريعة لسرب من عصافير (الجنك) وكان هذا هو الجواب الوحيد على صفيره . التقط فريد حصاة صغيرة . هدّف جيدا ورماها . اختار سرب العصافير تلك اللحظة ليطير من فوق الشجرة ويمر من فوق رأسه تماما . أخطأت الحصاة هدفها واصابت نافذة تقابل نافذة غرفة هانك . جمد فريد في مكانه . رأى اللوح الزجاجي يتطاير وشكل قميص نوم الجد (روبرت) يبدو بمعالم غير واضحة تماما كما سمع صوت الجد روبرت وهو يدمدم بما يعبر عن الحنق الشديد .

لم ينتظر فريد ليسمع ما كان يقوله الجد روبرت • استدار بسرعة وركض نحو الشـونة • وخلف مخزن حبوب كبير شعر بالامان من جديد • وقال لنفسه ونجوت باعجوبة •

بعد ذلك بخمس دقائق سمع صوت صفارة اشارة من ناحية البيت• رد فريد بصفرة مماثلة فظهر هانك عند بوابة الشونة •

كان هانك صلبا قوي الجسم له وجه مدور تقريبا • شعره الخفيف كان قصيرا أجعد • كان كل شيء يقوم به هانك بطيئا لكنه واثق • واذا أراد فريد المتسرع المندفع أن يجرب شيئا فيه مخاطرة فان هانـك كان هو الذي يستوقفـه ليدرس الامر جيدا ويقدر العواقب قبل الشروع بالعمل •

سأل فريد : ما الذي أخرك ؟ يبدو أننا لن نبدأ ببناء الكوخ

قال هانك بهدوء : لم استيقظ • بدأ الجد يصرخ فأستيقظت على صراخه • لا أدري ماالذي أزعجه •

قرر فريد ألاّ يتحدث عن رميته البائسـة • أراد أن يقول شيئا ما عن الناس الذين يستغرقون في النوم عندما يكون لديهم موعد هام غير أنه كف عن ذلك لانه يعرف عدم جدوى مثل هذا الكلام ، سيكتفي هانك بالقول انه موجود الآن وان خمس دقائق لا تقدم شيئا ولا تؤخر • وبدلا من ذلك قال فريد :

— وماذا عن المنشار والفأس ؟ لم أستطع الحصول على منشار أو فأس من والدي •

أخـرج هانك الادوات من مخزن العدد وتبع فريد خارج الشونة • عبر الاثنان الارض الخضراء واستدارا باتجاه الجبل عند نهاية القرية • كان جبل الايائل يرتفع من الوادي حيث تقع القرية • كان جبلا وعرا كثيف الاشجار ، واحدا من سلسلة جبال مشابهة ضمن المنطقـة • كان نهر صغير يجري عبر النهايـة البعيدة من الوادي ، نهر لا يعدو أن يكون جدولا في معظم أقسامه ، وقديما جدا كان قد أقيم سد قرب سفح الجبل لتكوين بركة صغيرة •

كان هانك وفريد يعرفان البركة جيدا ، تزلجا على سطحها شتاءً ، وسبحا في مائها صيفا • والآن عندما وصلا الى السد توقفا ليتطلعا الى صفحة الماء الساكنة • كانت دائرة من الاشجار براقة الحمرة • وذهبيـة بألوان الخريـف تعكس ألقا ناريا على سطح البركة •

قال فريد : شيء لا بأس به •

كادت الالوان المتلالأة تجعل قلبه يثب من مكانه • لم تكن شيئا مما يمكن أن يوصف بالكلمات لكن فريد اكمل :

— هيا ! لن نبدأ ببناء الكوخ أبدا •

قفز عبر طبقة الماء الخفيفة التي تجري فوق السد وتبعه هانك عن قرب • اندفعا داخل دغلٍ من الشجيرات الصغيرة عند قاعدة الجبل فوجدا نفسيهما يواجهان جدارا صخريا هائلا • كانت بعض البقع المعشوشبة تتناثر هنا وهناك فوق سطحه •

تمسك فريد بقبضة من الحشائش فوق رأسه وتسلق بصعوبة واحذيته تحفر في الصخر من أجل مكان للتثبيت •

صاح هانك : هي !

سأله فريد وهو يناضل للوصول الى مجموعة اخرى من الحشائش فوق رأسه : ماالامر ؟

— لماذا لا تدور حول الصخرة ؟

واشار هانك الى اليسار حيث تنحدر الارض تدريجيا • زمجر فريد • كان يتمنى أحيانا لو ان هانك يدرك ان القيام بالاعمال الصعبة أو ربما الخطرة فيه متعة اكبر ، ولكن لا سبيل الى ايضاح أمور كهذه لهانك • كان يصر على سلوك السبيل السليم الآمن حتى لو كان أقل متعة واثارة •

ما كاد فريد يلتقط انفاسه فوق حافة الجرف الصخري حتى كان هانك قد وصل الى قمة الصخرة • لم يعلق أحد منهما عن الطريقة المثلى لتسلق الصخور • وقال فريد فجأة :

— لدي فكرة ! لماذا لا نبني الكوخ في احد الكهوف بدلا من بنائه في مكان آخر فوق الجبل ؟

التمعت عينا فريد وهو ينظر الى هانك ليستطلع رأيه في هذا الاقتراح •

كانت الكهوف تجاويف كلسية قديمة عند منتصف الطريق الى قمة الجبل • بعضها كان كبيرا بمسالك متعرجة وفجوات تظهر بصورة مفاجئة وكأنها غرف واسعة • كان هانك وفريد قد

استكشفاها عدة مرات • كانا أيضا قد ضاعا في الكهوف مرة في السنة الماضية • ومنـــذ تلك المغامرة منعهمـــا ذويهما من الذهاب الى الكهوف دون مصاحبة شخص كبير في السن •

سأل هانك :

— وماذا ينفع استعمال الكهوف للاختباء ؟ لقد نلنا منها مايكفينا في السابق • ثم أننا يفترض بنا ان نبني كوخا حقيقيا لا ان نختبىءفي كهف •لدينا عطلة من المدرسة لمدة اسبوعين بسبب الوباء • هل تريد ان تضيع الوقت كيفما اتفق أم تريد انجاز عمل ما ؟

لم يكن من عادة هانك القاء خطبة طويلة كهذه فهو عادة يقول من الكلام ماقل ودل ليعبر عما يريد في أقصر وقت ممكن • وقد تأثر فريد بحجج هانك واقتنع بأن كلامه معقول فقال بسرعة :

— حسنا ، حسنا ، لا تغضب •

من الافضـــل الآن عدم اضاعـــة الوقت في بحث موضوع الكهف • وغير فريد الموضوع :

— هي •• انظر هناك !

واشار الى فسحة خالية من الشجر أمامهما • كانت الارض الوعرة المكشوفة مغطاة بنثار من بقايا عملية قطع الاشجار وكانت شرائح اللحاء واكوام نشارة الخشب والمخلفات الاخرى للمنشار الآلي تتوزع مبعثرة بين الشجيرات النامية حديثا •

قال فريد : نستطيع استعمال هـــذه الشرائح لعمل الكوخ ، لن نضطر الى اضاعة الوقت في قطع الاشجار وغير ذلك •

نظر الى هانك متفائلا • لو أعجبتـه الفكرة فسوف توفر ساعات من العمل المضني بالفاس والمنشار •

ضيّق هانك ما بين عينيه وراح يعض شفته السفلى كما اعتاد أن يفعل حين يستغرق في التفكير • راقبـه فريد متلهفا ـ واخيرا اشار هانك برأسه قائلا :

ـ انها تناسبني ، نستطيع العثور على مكان ملائم للكوخ في مكان قريب من هنا و •••

لكن هانـك لم يكمل جملته ففي تلك اللحظة تمامـا هوى شيء ما بقوة بين الشجيرات اسفل الجرف الصخري •

وقف هانك فاغرا فاه وعيناه مفتوحتان على وسعهما مبهوتا• لكن فريد لم يضيع وقته في التفكير فيما يمكن ان يكون سبب تلك الخبطة المدوية • بقفزة واحدة طويلة وصل الى قمة الجرف الصخري وخلال ثانيـة كان ينزلق على سطح الصخرة نازلا غير مبالٍ بالخدوش والكدمات التي نالها أثناء هبوطه السريع •

وسمع صوت هانك الصارخ من فوق : هي !

صاح فريد : هيا ! دعنا نر ماذا كان ذلك •

تقدم خطوة الى الامام ثم توقف وكأنه تحول الى حجر • هناك ، على بعد لا يزيد على عشـرة أقدام منه وقف ذكر الايل الضخم • قرناه يرتفعان فوق الادغال وكأنهمـا غصنان مرتفعان وعيناه الوحشيتان تنظران الى فريد مباشرة •

شيء ما صلب ومحكم اطبق على حنجرة فريد • راح يحدق الى الايل بانبهار عظيم • ماذا لو أن الايل هجم عليه فجأة ؟ ماذا

لو ان هذين القرنين العظيمين اندفعا نحوه بسرعة ؟ لم يستطع فريد أن يفكر بذلك . ووصله صوت هانك من فوق :

— ماالذي يحدث هناك في الاسفل ؟

وبدا له الصوت واقعيا جدا . ولهذه المرة فقط فرح فريد لان هانك نادرا ما يثار . ربما يستطيع أن نفكر في طريقة لابعاد هذا المخلوق الهائل المتوحش . لكنه لا يزال غير قادر على اصدار أي صوت للرد على هانك . ولحسن الحظ تحرك فضول هانك على الرغم من أنه لم يكن منزعجا بصورة خاصة بسبب صمت فريد . تقدم قليلا وأطل الى الاسفل لينظر الى فريد ، وازاحت قدمه حجرا صغيرا فنزل متدحرجا فوق سطح الصخرة بخبطات متتابعة أراد فريد أن يحذر هانك ليبقى ساكنا غير أن حنجرته كانت جافة . أثارت الحجارة المتدحرجة الايل . ارتفع رأسه ، تحولت عيناه الى ناحية أخرى وتراجع مبتعدا في هياج . حررت حركته فريد من شروده فعاد يتحرك ويتكلم مرة اخرى وهمس بحدة :

— هل تراه ؟ هناك عند الادغال ؟

وجاءه صوت هانك من الاعلى :

— ييه .. انظر الى يمينك . ذلك ما يشعله .

لقد استطاع هانك — من موقعه المرتفع — أن يرى ما كانت الادغال المتشابكة تخفيه عن أنظار فريد . وبعد خطوة واحدة الى الامام عرف فريد لماذا بقي الايل واقفا خلف الاجمة يتأمل ، وينتظر . كان خشف صغير يرقد هناك . لونه الرمادي — البني

يكاد لا يبين وسط الاوراق الميتة المتساقطة والادغال الصغيرة • وارتفع رأس الخشف حين انحنى فريد فوقه • كانت عيناه تضجان بالرعب ، لكنه لم ينهض للهرب منه •

مد فريد يدين مرتجفتين ليربت على جنب الخشف • لقد عرف فيه أحد الخشفين اللذين رآهما في البستان ذلك الصباح • ولكن لماذا لم ينهض ويهرب منه كما فعل مرة من قبل ؟

بعد ذلك لمح فريد النبات المتعرش الذي كان يمسك برجل الخشف الامامية ويسمره الى الارض • كان ملتفا باحكام شديد حول الكاحل النحيل حتى ان اللحم بدأ ينزف في ذلك الموضع •

صاح فريد : يا للمسكين !

كان عطفه الشديد على الحيوان العاجز قد أنساه الايل الكبير المتحفز القريب منه • وببضع حركات سريعة خلص الساق من الاغصان الملتفة عليه وراح يتحسس الكاحل المتورم • لم يكن يبدو على الساق أنه كُسِر لكن فريد لم يكن لديه الوقت الكافي للتأكد • وما كاد الخشف يتحرر من فخ الاغصان المتعرشة حتى هب واقفا •

وللحظات قصيرة وقف الخشف مترددا وشعر فريد شعورا غريبا • شعر أن الخشف يريد ان يشكَره ، لكن صوتا عميقا كسر الصمت ، كان نداءً أجش صادرا من الايل الاب • مال الخشف الى جانب ثم تجاوز الاجمة بقفزة واحدة • وصدرت من الايل الكبير صرخة ترحيب قصيرة وصدرت من الادغال خشخشة اختفى بعدها الايلان •

(حسنا)

كان هانك هو الذي قالها . كان قد رأى كل شيء من مكانه المرتفع عند قمة الجرف الصخري . لقد عبر اندهاشه عما أحس به فريد تماما لم يكن بالامكان قول شيء أفضل من ذلك في هذا المجال .

ومهما يكن الامر فقد ناقش الاثنان الامر كله بالتفصيل بعد وصول فريد الى حيث كان هانك عند قمة الصخرة . شيء واحد أثر فيهما اكثر من أي شيء آخر . ذاك هو حقيقة أن الايل الاب قد وقف الى جانب الخشف على الرغم من اقتراب مخلوقين بشريين منه اقترابا شديدا . كان لابد ان يخاف الايل ، فالايائل ترتعب من البشر رعبا قاتلا .

حين عاد الاثنان الى المنطقة التي قطعت فيها الاشجار قال فريد :

— ماذا كان سيحدث لو لم نجده ؟ كان سيموت .

قال هانك :

— أرجو ان لا يكون النبات المتعرش فخا منصوبا .

جحظت عينا فريد :

— فخ منصوب ! ومن ينصب فخا هنا ؟!

هز هانك كتفيه :

— لست ادري ، ربما لا يكون . ولكن ماذا عن الكوخ ؟ أين سنبنيه ؟

علم فريد أن هانك قد استهلك موضـوع الايائل وحوّل انتباهه الى الكوخ مرة أخرى • وخلف المنشرة تماما وجدا فسحة مكشوفة أخرى في أحد جوانبها طبقة صخرية بارزة وأجمات من نبات الغار تحيط بفرجة صغيرة • درس هانك الموقع بعناية ثم هز رأسه مغمغما :

— ليس أفضل من ذلك ، سيكون لدينا ماء جارٍ أيضا •

واشار الى مجرىً مائيٍ صغير يجري عبر الصخور مشكلاً بركة فوق بضعة صخور مغطاة بالطحلب •

(حسنا ، لنبدأ) قال فريد ذلك وهو نافذ الصبر • ثم بدأ يخلع أحد الالواح الخشبية وهو يقول :

— الآن وجدنا المكان المناسب فماذا ننتظر ؟

في نصف الساعة التالي نقل الصبيان كومة كبيرة من الالواح الى الفسحة وكوماها عند قاعدة السفح في المكان الذي اختاراه لبناء الكوخ •

قال هانك : سننجز الارضية أولا •

هز فريد رأسه • كان يعلم أن هانك قد قرأ كتابا في كيفيـة بناء الاكواخ • ولابد أن هانك يعرف من أين يبدأ •

ما ان حلت السـاعة الثامنة حتى كانت أرضية الكوخ قد ثبتت ستة اقدام مربعة من الالواح الخشبية الثقيلة غير المنتظمة نوعا ما • قام هانك بعملية النشر بينما قام فريـد بتثبيت الالواح سوية بحيث جعل الوجه المغطى باللحاء الى الاسفل •

(لا بأس) قالها فريد عندما وضع آخر لوح في مكانه (حسنا ، أنا جائع . هيا نأكل) ودس يديه في جيبي جاكيته ، كان يشعر بفراغ عجيب في تجويف معدته . وراح يبحث بسرعة في جميع جيوبه الاخرى وقال (لقد نسيت جلب فطوري) .

سحب هانك لفة ورقية من جيبه وبسطها امام فريد قائلا :

— لدي مايكفي لأثنين .

وبدا عليه أنه كان يتوقع أن ينسى فريد فطوره . وقال فريد بسرعة :

— كان ذلك بسبب جاني . كان لابد لي ان اتهرب منها فنسيت .

وأخذ واحدة من شطائر هانك وقضى عليها بقضمتين .

بعد أن انتهيا من الطعام قال هانك :

— والآن لقد أتممنا عمل الارضية وذلك هو الجزء الاسهل وعلينا بعد هذا أن نقطع تلك الالواح بالطول المناسب ثم نحفر نهاياتها ليصبح بالامكان تركيبها على بعضها .

أراد فريد ان يقول أنه لا حاجة الى حفر النهايات اذ أن بالامكان تثبيتها بالمسامير على أربعة مساند عمودية . لكنه قرر ألا يفعل . اذا كان هانك قد قرأ كتابا عن بناء الاكواخ فلا شيء يثنيه عن بناء الكوخ بالطريقة الموصوفة في الكتاب .

(حسنا) قال وهو يحاول ان يظهر الحماس (سوف أقوم بعمل الـ .. لكنه لم يكمل جملته حتى سمع دوي بندقية ، انفجار هادر بدا كأنه يضج في آذانهما مباشرة وجعل كلا الولدين يهبان قافزين وكأن الرصاصة اصابتهما .

قال هانك بنعومة (صيادون متسللون) جاء صوته همسة مرتعشة .

لعق فريد شفتيه . شعر بهما جافتين متصلبتين . تمنى لو أن قلبه لم يكن يصدر كل تلك الضجة الخافقة في صدره . واخيرا نجح في التلفظ بهذه الكلمات :

ــ كيف تسنى لك ان تعلم ؟

ــ لأنه لا يوجد موسم لصيد الايل في هذه الولاية . وكل من يطلق النار في هذا الوقت من السنة يحتمل جدا ان يكون ممن يستهدف صيد الايائل . فهو إذن متسلل .

بدا هانك غاضبا وعصبيا بعض الشيء وأضاف :

ــ إنه يكسر القوانين ، يخالفها كأي مجرم عادي .

راح فريد ينظر الى هانك متمعنا . في مكان ما في الغابة ، وراءهم ، كان شخص ما معه بندقية . وسأل فريد :

ــ ماذا سنفعل ؟

كان يريد ان يقول ان جبل الايائل ليس المكان المناسب والآمن لبناء كوخ لكنه لم يرد ان يعترف بهذا الاحساس حتى لهانك . وقال هانك ببطء :

ــ علينا أن نخبر عن ذلك .

ارتفعت روح فريد المعنوية . اذا اخبرا شخصا آخر عن المتسلل ، الذي يحمل بندقية فانه لا يعود خطرا . وقال بسرعة :

— جو باتشز هو حارس الغابة ٠ نستطيع اخباره ٠

هز هانك رأسه موافقا وقال فريد : هيا بنا اذن ٠

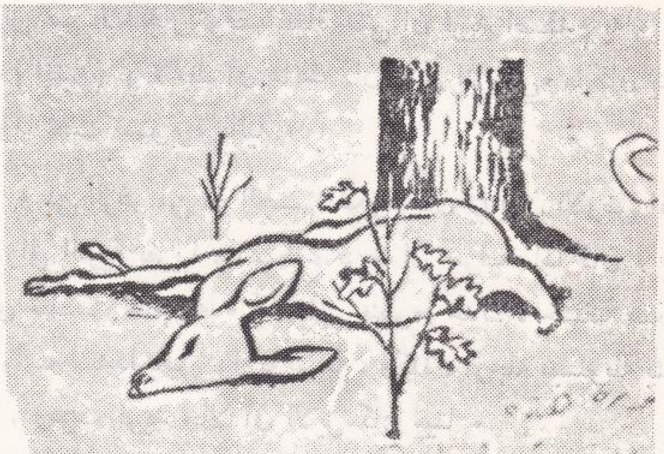
وتقافزا نازلين من سفح الجبل متعثرين بصخب عبر الادغال وراكضين عند وصولهما الى الاماكن المكشوفة أسفل خط اشجار الصنوبر ٠ وعند حافة الغابة تماما وصلا الى بستان صنوبر حيث كان مايشبه سجادة من اوراق النباتات البرية تغطي مساحة واسعة من الارض ٠

كان هانك يتقدم فريد عندما دخلا البستان ٠ وعند منتصف الطريق عبر الاشجار توقف فجأة حتى ان فريد اصطدم به ٠ صاح فريد (انتبه) ثم لاحظ أن هانك كان يشير الى شيء ما كان ينطرح متكوما تحت صنوبرة عالية ٠

وعلى الرغم من ان الجسم المكوم كان في لون الارض المغطاة بالاوراق البرية تقريبا ، استطاع فريد ان يعرف ماذا كان ٠ ومرة أخرى تقلصت حنجرته ٠ كان أيل ينطرح هناك ، خشف صغير ٠ كان رأسه ممددا يميل بزاوية غريبة ، وكانت أرجله مبسوطة بشكل بشع ، وعرف فريد حالا أن الايل كان ميتا ٠

جو باتشز

لم يكن فريد قد رأى قبل ذلك حيوانا أطلق عليه الرصاص. كان الامر مختلفا حين يموت الحيوان ميتة طبيعية . كيف يستطيع أحد ان يطلق النار على شيء حي ؟ كزّ فريد على أسنانه وسحب نفسا عميقا .



(هل .. هل هو ذلك ..) ولم يستطع ان يكمل . كان يريد أن يعرف ان كان الخشف هو نفسه الذي حرره من النبات الملتف قبل وقت قصير . لكن فريد لم يستطع أن يسير باتجاه ذلك الجسم المكوم . لحد الآن لم يستطع . وراح يرقب هانك .

كانت عينا هانك نصف مغلقتين وكانت شفتاه مطبقتين ووجهه المدور شاحبا لكنه لم يدع مشاعره تخونه :

— ربما الخشف ذاته ، سوف أرى .

حين تقدم هانك نحو الخشف الميت تبعه فريد . لم يستطع ان يمسك نفسه . كان يسحبه الى الامام رعب خانق غريب . وفي اللحظة التي وصل فيها قرب الخشف عرف أنه هو . كان الكاحل المتورم ممدودا خلف رأس الخشف المتدلي بطريقة تبدو كوثيقة اتهام .

قال هانك وهو يركع ليلمس الخشف :

— ربما لم يستطع ان يركض بسرعة كافية ليبقى مع الآخرين فينجو .

وامتدت يد فريد أيضا وتحسس الجسم . كان لايزال دافئا ، وتذكر كم كان سريعا ونابضا بالحياة .

— لا استطيع ان أفهم كيف يستطيع أحد ان يفعل ذلك ! إنه.. انه في منتهى القسوة .

كان فريد يصرخ . لقد اختلط الغضب والعطف والاسى في صدره فلم يعد قادرا على عمل شيء غير التحديق الى الحيوان المسكين أمامه .

قال هانك وهو ينهض على قدميه .

— يبدو أنني كنت على حق . صيادون متسللون ! هيا بنا ، يجب أن نرى جو باتشز .

أحس فريد بفرح شديد لمغادرة بستان الصنوبر • لقد اكتشف فجأة مع نفسه أنه أياً كان الشخص الذي قتل الايل فانه بالتأكيد لا يزال في الغابة • وربما يكون قريبا جدا من هذه البقعة • ركض خلف هانك وبقي قريبا جدا منه حتى وصلا السد •

وتساءل بقلق : اين يمكن أن يكون الآن ؟

تطلع من فوق كتفيه شبه متوقع ان يرى رجلا يحمل بندقية يخرج من بين الاشجار خلفهم • وتمنى لو ان فكرة بناء الكوخ فوق جبل الايائل لم تكن فكرته • وقال هانك •

- لست ادري ، ربما ذهب لجلب من يساعده في سحب ذلك الخشف • وتسارعت خطوات فريد • اثنان من المتسللين ! وقال بعد قليل :

- أتمنى ان الايل الكبير قد نطحه بقرنيه الهائلين •

قال هانك بحنق :

- الايائل لا تستطيع ان تفعل شيئا أمام البندقية • من المؤلم تذكر وقوف الايل الى جانب الخشف حين أمسك به فخ النبات ، كان يبدو كأنه •• كأنه والد •• انسان •

تذكر فريد ذلك جيدا • وتساءل مع نفسه كيف يشعر الايل الآن ، اذا كان قادرا على الشعور بشيء يشابه الحزن البشري • وعلى أية حال حين يتمثل وقفة الايل المنتظرة المتأملة ذلك الصباح • فان الثقة التامة بفجيعة الايل لفقد خشفه تسيطر عليه •

قال فريد بحدة :

— أرجو ان يمسك جو باتشز بذلك الصياد المخالف . ربما يحاول قتل الخشف الآخر . ماذا يفعل الصيادون بالايل الذي يصيدونه ؟

لم يجب هانك حتى عبرا السد واستدارا باتجاه القرية . وحينذاك قال بصوت قوي :

— يبيعونه ذبيحة للاستفادة من لحمه . واذا حصلوا على الذكر الكبير فانهم يستطيعون بيع قرونه أيضا . انها تباع بثمن باهظ لاستعمالها في تزيين رف الموقد .

حاول فريد قدر الامكان ان يتخلص من تصور ذلك الايل العظيم الممتليء قوة وحياة ونشاطا كشيءٍ ميت . رمى الفكرة من ذهنه وركز على جو باتشز ، حارس الغابة . يجب ان يعرف جو ما يفعله تجاه المخالفين المتسللين لاقتناص الطرائد . كان جو باتشز يعيش عند نهاية الوادي السفلى ، خارج القرية . كان يملك حقلا صغيرا وعائلة كبيرة وبيتا يبدو أنه يبقى واقفا في مكانه دون ان يسنده شيء ما ، كما لو كان واقفا بحكم العادة . كان حول المنزل انواع من الحظائر والاهراء والظلات ، وكل بناية تتكيء على الاخرى طلبا للاستناد . وكانت ادوات الحقل المستهلكة ، واللعب المحطمة وقطع الاثاث المخلعة المكركبة تتوزع فوق الساحة التي انتشرت فيها الاعشاب البرية .

وبينما هانك وفريد يسيران نحو البيت سمعا أصواتا صاخبة مرحة • وفي لحظة وصولهما الى المدخل فتح الباب بقوة واندفع خارجا منه جمع من الاطفال • كانت اعمارهم تتراوح بين العاشرة فنازلا حتى طفل صغير يدب وتكاد تدوسه أقدام القطيع الشارد • كانت وجناتهم جميعا موردة بالعافية وملطخة بالاوساخ ، اما عيونهم فكانت تتلألأ بالبهجة والفضول وبها راحوا يحدقون الى القادمين •

ابتسم فريد لبحر الوجوه البهيج • كان يعرفهم منذ سنين غير انهم راحو ينظرون اليه وكأنه قادم من المريخ •

قال فريد : هاي !

ولم يسمع جوابا غير سلسلة من الكركرات المكتومة • وسأل هانك في صوت كاصوات رجال الأعمال :

— أين ابوكم ؟

ونال هذا السؤال تحية متفجرة من القهقهات المكبوتة ، وحشرت بنت صغيرة كلتا كفيها في فمها لتخفي استمتاعها •

(من يريد جو ؟)

كان الصوت عاليا وقويا • وظهرت السيدة باتشز عند المدخل وعلى ذراعها رضيع • كانت امرأة ممتلئة القوام لها وجه كبير مرح •

(هالو ، هانك ، ماذا لديك أنت وفريد ؟)

نقلت الطفل الى ذراعها الآخر ووجهت لطمة سريعة الى صبي صغير كان يدغدغ أختا أصغر منه .

قال هانك : جئنا لنرى جو ، شخص ما قتل أيلا هناك فوق الجبل .

واضاف فريد :

— كان خشفا ، أراهن ان عمره لا يبلغ السنة .

ومرة اخرى قفزت الى ذاكرته صورة الخشف الميت . وهز رأسه ليتخلص منها .

كان من الجلي أن السيدة باتشز لم تنزعج لهذه الانباء :

— أحد أبناء المدينة يتمتع قليلا ، إه ؟ حسنا ، يمكنكما اخبار جو بذلك ، لكني لا أرى ذلك يفيدكم كثيرا . تعرفان جو . لا يتغيب عن العمل فهو اما في حقل القمح او نيش البطاطا؟ لست ادري . ولكن ما الذي جعلهم يفصلونه من العمل ؟ كنت أحدثه هذا الصباح ، قلت له أنا لا —

— شكرا لك .

كانت مقاطعة عاجلة من هانك فقد كان يعرف ان السيدة باتشز ما أن تفتح شهيتها للحديث حتى يكون بمقدورها ان تتحدث الى الابد .

— ولكن ، أين نستطيع العثور عليه ؟

— في الخارج في مكان ما . لقد سمعته يقول انه يريد ان يعمل

في حقل القمح او في البطاطا . لكنه لم يستقر على رأي ، أي منهما ! وقلت له ، جو ، أنا قلت ، اذا لم تنبش البطاطا من قبل ...

لكن فريد وهانك كانا قد تراجعا مبتعدين عن المدخل واخترقا مجموعة الاطفال المحتشدين وهربا الى الساحة . وظل الاطفال يراقبونهما بينما كانا يسيران نحو الشونة .

ووجدا جو ، لكن كل ما كان قد خطط لعمله في حقل القمح أو البطاطا كان قد نسي تماما . كان جالسا فوق مصطبة خلف الشونة . ظهره مستند بوضع مريح على الواح الجدار التي دفأتها أشعة الشمس ، رجلاه ممدودتان أمامه وقبعته منكسة فوق عينيه. جو باتشز كان مشغولا جدا بعمل لا شيء على الاطلاق .

ابتسم فريد ولكن هانك قال :

ــ أراهن أنه نائم .

ــ لست كذلك . أستريح فقط .

جاء الصوت عميقا بطيئا من تحت القبعة . واعتدل جو في جلسته ومط ذراعين طويلين فوق رأسه ثم رفع قبعته ووضعها في مكانها الصحيح عند مؤخرة رأسه . كان وجهه طويلا رفيعا مغطى بلحية سوداء خشنة . نظر الى الولدين من تحت حاجبيه اللذين يشبهان دغلا شائكا وسألهما وهو يرفع ببط احدى رجليه ويضعها فوق الاخرى :

ــ ماالذي يزعجكما ؟

قال هانك :

— لا شيء فيما يخصنا ، لكن الايائل هناك فوق الجبل ، يوجد الكثير مما يخصها .

وفي بضع كلمات أخبره عـن سماعهما صوت الطلق الناري وعثورهما على الخشف الميت . وبين فترة واخرى كان فريد يرمي كلمة ما عندما يشعر ان هانك لا يروي الاحداث بطريقة وافية .

استمع جو بعناية وحين انتهيا من الرواية اخذ قرصا من التبغ المضغوط من جيبه الخلفي وعض منه مضغة وقال : (حسنا) .

سأل فريد :

— حسنا ماذا ؟ ألا تهرع لملاحقة المخالفين ؟ أنت حارس الغابة .

لم يعتقد أن جو سيستقبل معلوماتهما الخطيرة بهذا البرود.

وقال جو وهو يتكيء الى الخلف من جديد ويلوك بتأمل :

— ليس بهذه السهولة ، نحتاج الى بعض التفكير .

قال فريد ساخطا :

— وبينما أنت تفكر ، يكون ذلك الصياد المتسلل قد أصبح على بعد أميال .

قال جو بارتياح :

— ذلك ما أفكر به ، على بعد أميال .

كاد فريد يقفز راقصا من شدة نفاد الصبر تجاه لا مبالاة جو وصاح :

— يالك من حارس غابة ، سيكون هناك انتخاب في المدينة في

الشهر المقبل ، وربما ينتخبون حارس غابة جديد .

ورمق هانك فريد وعيناه تلتمعان وقال :

— مئتا دولار في السنة ياجو .

كان قد درس تعليمات المدينة في المدرسة وكانت معلوماته أكيدة . وبدا ان حماس الولدين قد صقع جو فخلال السنوات التي كان فيها حارس غابة لم يقم بعمل يذكر عدا اصدار رخص صيد السمك في الموسم والسماح مرة او مرتين باطلاق النار على الايائل التي كانت تتلف الممتلكات . كان العمل قد أعطي له بسبب الشفقة اكثر مما هو بسبب الثقة بكفاءته . كان رجال المدينة يعرفون ماذا تعني مئتا دولار في السنة بالنسبة لعائلة باتشز .

وراح جو يغمغم : هذا صحيح ، ربما ، ربما .

ونهض ببطء . وتقدم خطوة ثم نظر بحدة الى الولدين :

— وكيف أعرف انكما لا تخدعاني ؟ ربما قتلتما انتما ذلك الخشف .

— أنا ! نحن ! (كان صوت فريد مختنقا بالسخط فالفكرة بحد ذاتها جعلته يحترق) .

— حسنا ، على مهلك .

قالها جو مهدئا وسار خارجا من الساحة متجاهلا التساؤلات الصاخبة القادمة من المدخل . كل الاطفال كانوا يريدون ان يعرفوا الى أين كان ذاهبا ، ولماذا . ولم يرد جو حتى شاركت السيدة باتشز في الكورس :

— الى أين أنت ذاهب ياجو باتشز ؟ هل نبشت البطاطا أم لا ؟

أسرع جو فعلا . تسارعت خطواته من الخطو المتمهل الى مايشبه الخبب . وصــاح من فوق كتفه (عمل ، قليل من العمل فقط) ولم يقل شيئا عن البطاطا .

وتبعهم صوت السيدة باتشز عبر الساحة وبعيدا فوق الطريق. وهز جو رأسه باعجاب :

— أفضل الاصوات امتدادا في الولايــة ، عليكم ان تسمعوا صوتها حين تجمع الخنازير .

كان فريد يستطيع ان يتصور تماما كيــف تكون السيدة باتشز حين تنادي الخنازير لكنه لم يضيع الوقت في التفكير بذلك. كان عليه هو وهانك ان يتبعا جو في أثر ذلك المتسلل . واستعجلاه عبر الطريق النازل حتى السد ثم الى الاعلى نحو السفح السفلي لجبل الايائل .

— لا يبدو لي ممكنا ان ارفع نفسي الى هناك .

قالها جو حينما وصلوا الى اعقاب الجرف الصخري الذي تسلقه فريد صباح ذلك اليوم واكمل جو :

— لدي تشنج في ركبتي الآن .

وغطس جالسا بين السراخس عند قاعدة الصخرة واتكأ الى الخلف . وراح فريد ينقل ثقله من قدم الى أخر ثم صاح :

— لست بحاجة الى تسلق الصخرة ، انها ليست في الطريق و...

ماذاك ؟

دق صوته فاصبح صرخة ثاقبة . وسمع صوت مرتفع لانفجارات متوالية قادما من الوادي . ونظر فريد الى هانك . هل كان صوت بندقية ؟ هل عاد الصياد المتسلل ؟ وقال هانك بصوت متوتر رفيع :

— ربما يكون صوت بندقية .

وصرخ فريد :

— لقد عاد اليها مرة اخرى . هيابنا ياجو ، حرك نفسك !

وانحنى على جو وراح يسحب كمه . لكن جو لم يتحرك وقال بهدوء :

— لم اسمع في حياتي صوت بندقية بتردد بهذه الطريقة ، وحسب طريقتي في التفكير يبدو لي أنه صوت انفجارات من كاتم صوت سيارة .

وكتأكيد لكلمات جو سمع هدير محرك قادما من طريق الوادي . واندفع فريد الى الممر الذي يؤدي الى قمة الصخرة ونظر الى الوادي . كانت عربة مغلقة صغيرة تتحرك ببطء فوق الطريق متجهة الى القرية .

اكتسحت فريد موجة من الارتياح . للحظات شعر كأنه منطاد يتسرب منه الهواء ببطء . على الاقل لم يصب المتسلل أيلا آخر . وصاح :

— جو على حق . من أين جاءت تلك العربة ياترى ؟ تبدو عربة متحركة ولكن لا أحد يعيش في تلك الناحية من الوادي .

وراح يمعن النظر في ضوء الشمس محاولا ان يرى العربة بصورة أفضل وقال :

— لست أرى جيدا ، لكني أظن أن اللوحة من نيويورك .

قال جو :

— من نيويورك إذن على الاغلب . أما أين كان والى أين يتجه فذاك شيء يخصه هو فقط .

قال هانك :

— سينطلق على الطريق الرئيسي اذا كان متجها الى القرية. هيا بنا ياجو ، انها ليست بعيدة من هنا .

ان كان جو مرتاحا للامر ، أو انه تحرك تحت ضغط صوت هانك الملمق ، ذلك شيء يصعب التأكد منه . كان يكفي بالنسبة لفريد ان جو نهض على قدميه أخيرا وسار متمهلا عبر الممر نحو قمة الجرف الصخري .

وبمساعدة جو فوق الارض الوعرة وحثه كلما وصلو الى بقعة تبدو لـــه مكانا ملائما للاستراحـــة ، استطاع الاثنان اخيرا الوصول به الى مكان يمكن رؤية البستان منه . وقال هانك وهو يسند جو الذي تعثر بجذر شجرة :

ـ إنه هنـاك تماما • الخشـف الذي قتل بين تلك الاشجار بالضبط •

ودمدم جو الذي كان يحك ساقيه :

ـ حصل خير" • ماذا بشأن ما ينبغي علي عمله في البيت ؟ لست في مزاج رائق للتجول في هذه الغابه دون سبب •

لم يستطع فريد ان ينتظر جو البطيء الحركـة ، فما كادت اشجار الصنوبر تبدو للعيان حتى ركض باتجاههـا تاركا هانك ليساعد جو المتذمر • واندفع في البستان دون ان يحفل بالطريق الذي يسلكه حتى وصل الى أقدام الصنوبرة الكبيرة ، ثم توقف قليلا وحدق وهو غير مصدق الى الارض • كان الخشف قد اختفى•

انطلق من حنجرة فريد صوت ضئيل غريب • كان يحاول ان ينادي هانك لكنه لم يستطع السيطرة على حباله الصوتية • وجرب ان يفرك عينيه لكن ذلك لم يغير شيئا • لم يكن هنالك شيء عند أقدام الشجرة الا الابر الصنوبرية • ركع وتحسس الارض بعناية ولم تلمس يده الا الوخزات الحادة للاوراق البرية • مر بلسـانه على شفتيه وحاول مرة أخرى :

ـ هي ! ••• (خرج صوته هذه المرة خوارا مبحوحا) •

كان هانك يدخل البستان وجو يترنح في اعقابه ، وجعلتهما صرخة فريد يتوقفان جامدين • حدق هانك الى البقعة التي كان فيها الخشف • كان فمه نصف مفتوح • ووقـف جو هناك وهو يمضغ التبغ بايقاع بطيء • وقال جو أخيرا :

ـــ حسنا ، أين هو ؟

وقف فريد وهو يبتلع ريقه ويخرج الكلمات بصعوبة :

ـــ إنه ... انه ليس هنا .. أعني أنه قد اختفى .

وراح ينظر بتعاسة الى هانك .

خطا جو خطوة الى الامام ونظر بطرف عينــه الى الارض الخالية تحت شجرة الصنوبر :

ـــ إذن ، هذا هو الايل ، ايه ؟ خشف ميت أطلق عليه الرصاص من قبل صيادين مخالفين للقوانين .

وصرخ فريد :

ـــ لقد كان هنا ، سمعنا الطلق الناري رأيناه .

(لو أن هناك طريقة لاقناع جو بصحة كلامه !) فكر فريد بذلك ، اذا لم يقتنع جو بأن هنالك خشفا ميتا فلن يصدق أن هنالك متسللين في الجوار . وقال هانك برزانة :

ـــ هذا صحيح ، كان الخشف هناك بالضبط .

ومد اصبعا نحو الشجرة .

أرسل جو سيلا من عصير التبغ في الادغال القريبة منه وسأل فجأة :

ـــ وما الــذي كنتما تفعلانه فوق جبل الايائــل على أية حال يا أولاد ؟ ربما ينبغي لي ان أنظر في هذا .

وفي لحظة تأكد لفريد ان جو يتهمهما بالتسلل للصيد • وكان عليه ان يري جو كم كان مخطئا بشأن ذلك وقال أول ماخطر على باله :

— نحن نبني كوخا هناك في الاعلى •

وتمنى لو أنه لم يقل ذلك أو انه لم يتكلم أبدا • ورأى هانك يعبس في وجهه لا فشـائه السر كما رأى حاجبي جو الكثيفتين يطرفان وسأل هانك :

— حسنا ، كان علي ان أخبره بأننا لسنا متسللين ، أليس كذلك؟

وسأله جو :

— ومن قال انك متسلل ؟ أنا لا استنتج استنتاجـات خاطئة • هيـا ! إبنِ اكواخا كما تشـاء ، واذا رأيت أي متسلل ، أخبرني •• هذا اذا •••

واضاف بابتسامة جانبية : اذا لم تكن خائفا منهم •

قال فريد بصوت مرتفع :

— لسنا خائفين ، وسوف نمسك لك المتسلل ايضا •

وتساءل بينه وبين نفسه للحظات ماذا سوف يفعل اذا التقى فعلا وجها لوجه مع أحد المتسللين •

— هذا صحيح •

قالها هانك بثبات شديد • وابتسم جو :

— الى الملتقى حين تجلبانه الي مربوطا كالخنزير •

واستدار على أعقابه ، ودون أية كلمة أخرى ، اختفى بين الاشجار . وبقي صـوت تقدمـه وهو يجتاز المنحدر يصل الى آذانهما بعد اختفائه عن الانظار لفترة طويلة . وبعد ذلك نظر فريد الى هانك وقال بسرعة :

— كان يجب أن أقول ماقلت بشأن الكوخ . كان يتهمنا فعلا بمخالفة قوانين الصيد ، وكان من الضروري أن أعطيه سببا لوجودنا هنا .

هز هانك كتفيه :

— ليس هذا ما افكر به . انني مندهش أين ذهب ذلك الخشف؟ ولكن لم تكن أية مناقشة مهما طالت قادرة على المساعدة في حل هذا اللغز ، الشيء الوحيد الاكيد بالنسبة لهما هو ان الخشف كان هنا وأنه الآن غير موجود . واخيرا قال هانك :

— لابد ان المتسلل ـ وربما هما اثنان ـ قد حمله بعيدا أثناء ذهابنا الى جو . أعتقد أنه ليس من شيء يمكن ان نفعله حيال ذلك .

لوى فريد كتفيه داخل معطفه . لقد كانت معرفة ان هنالك شخصا ما في الغابة قريبا منهما تجعله يشعر بعدم ارتياح فظيع . وقال فجأة :

— لنخرج من هذا المكان ، اعني لنعد الى الكوخ . هذا اذا كنت تعتقد ... أعني أنني أفترض أن من الافضل الاستمرار في بنائه .

كان يأمل غالبا أن هانك سيقول انهما يجب ان يتخليا عن فكرة بناء الكوخ . فالآن بعد ان عرفا بوجود متسللين فوق جبل الايائل فان فريد يشعر ان الادغال والاشجار لها أعين مترقبة تتبع كل خطوة من خطواتهما . ونظر بحدة الى هانك الذي قال :

— اذا لم نفعل فتستطيع ان تراهن ان جو باتشز لن يدعنا ننساها . لقد تحدانا ان نستمر في التردد على المنطقة ، ونحن لا نريده ان يدور في المدينة ليقول اننا كنا خائفين .

كان هانك يتكلم بصوت عالٍ وكأنه يحاول ان يكون مشجعا .وتذكر فريد شهرة جو في نقل الاخبار وتداولها . انه يكاد يسمع صوت جو الساخر المتلذذ وهو يخبر كل شخص في مخزن القرية كيف هربا مرعوبين من جبل الايائل . كلا — فكر منزعجا — لا مناص من ذلك ، عليهما ان يستمرا في بناء الكوخ ، الآن . وقال :

— هيا بنا ، ماذا ننتظر ؟

وكان يأمل ان هانك سيعتقد أنه لم يكن خائفا . وكشر هانك فجأة وهو يقول :

— ولكن تذكر ، لن يسدد أي متسلل خرطوشا الينا . اننا لا نستساغ كلحم طرائد .

أعاد صوت هانك القوي الواثق الراحة الى قلب فريد فابتسم لهانك وتبعه صاعدا الممر الجبلي الى الفسحة التي فيها موقع الكوخ

كانت الشمس في كبد السماء والاشعة اللامعة تومض فوق أوراق الغار وترسل اشرطة ضوئية خفاقة الى الاسفل عبر اشجار الصنوبر الباسقة . كانت الارض تشع بالدفء وتنشر رائحة نفاذة . وكان من السهل نسيان التوتر والقلق الذي أحس به فريد عند بستان الصنوبر . وتراقصت بهجته مع تراقص اشعة الشمس . كان سعيدا لانه فكر ببناء كوخ فوق الجبل .

لم يتحدثا كثيرا حين انشغلا ببناء الجدران الجانبية للكوخ . ما ان تثبت الاعمدة الركنية الاربعة حتى صار من السهل تركيب الالواح العريضة في مكانها . وحين حل الوقت الذي وصل فيه شعورهما بالجوع حدا جعلهما يقتنعـان أنه وقـت الغداء ، كان ما ينقص الكوخ هو السقف فقط .

قال هانك وهو يتراجع خطوات ليتأمل عمل أيديهما :

— سوف نحزم السقف بأغصان نبات الشوكران لنجعله عازلا للماء . يبدو انجازنا طيبا .

هز فريد رأسه موافقا . كانا قد تركا فتحات لباب وشباكين، لكن الكوخ على أية حال كان يمثل مظهرا في غاية الاحترام ويكاد يبدو بيتا حقيقيا . وملأ فريد شعور بالفخر . كان الكوخ لهما ، هو وهانك ولا أحد يعلم شيئا عن ذلك إلا جو باتشز . لقد كان مخبأ مثاليا . وقال فجأة :

— ربما نستطيع قضاء الليل فيه أحيانا ، نستطيع جلب البطانيات ومستلزمات الطبخ .

لقد اختفت ذكرى المتسللين والخشف الميت ولم تعد الغابة تحمل أي رعب له • ان قضاء الليل فوق جبل الايائل في كوخ يبنيه الانسان بنفسه يعتبر مغامرة رائعة •

قال هانك : ـ يجب ان نحصل على رخصة اشعال النار من جو باتشز فهو مسؤول الاطفاء أيضا كما تعلم •

شعر فريد بشيء من عدم الارتياح لذكر اسم جو لكن ذلك لم يدم الا لحظة قصيرة • لم يكن يستطيع ان يبقى متوترا بينما الشمس تشرق في كل مكان ونسيم طيب يداعب اطراف الشجر بنعومة في الاعالي •

وقال ببساطة :

ـ أوه •• جو سيعطينا الاذن باشعال النار • هيا بنا الى البيت لتناول الغداء • نلتقي عند السد في الساعة الثانية •

كان هانك واقفا عند السد حين وصل فريد بعد الغداء • لم يكن هانك يحب الانتظار وقد عبس في وجه فريد حين التقيا • وقال فريد بسرعة :

ـ كان عليّ ان أتسلل في غفلة من جاني ، كادت تجنني اثناء الغداء وهي تحاول ان تعرف ماذا كنا نفعل • الاخوات مزعجات حقا •

كان فريد يأمل ان تحويل الموضوع الى الحديث عن جاني يجعل هانك يتغاضى عن حقيقة انه كان متأخرا • وكان من الواضح

ان هانك لم يكن يهمه متابعة الموضوع فقد سلك طريقه عبر السد وفريد في اعقابــه . وتسلقا الممر المعهود نحو فسحتهما . كانت روحاهما مفعمتين بالامل . وقال فريد :

— نستطيع اكماله عصر هذا اليوم ، وربما ...

وتوقف فجأة وراح يحدق .

كان الكوخ هناك ، لكنــه لم يكن كما تركاه . كان أحد الجدران مخلوع الجانــب وكانت الالواح مبعثرة على الارض . كان يبدو كأن أحدا ما قد دفع بثقل كبير تلك الجهــة من الكوخ فحطمها .

شهق فريد وجحظت عيناه من الدهشة وبدأ يردد :

— انا ... انا ..

ولكن لم يكن هناك شيء يمكن أن يقال ليعبر حيرته ودهشته . لكن هانك كان قــد تقدم وراح يحدق الى الأسفل نحو الارض الخالية أمام الكوخ وقال وهو يبدو شديد الهدوء :

— تعال هنـــا .

واطاعه فريد وسار نحوه على ساقين متصلبتين بشكل غريب ونظر الى المكان الذي كان هانك يشير اليه . هناك على الارض كانت آثار أظلاف الايائل ذات الشكل الوتدي مطبوعة على التربة ،

وقال هانك بنعومة :

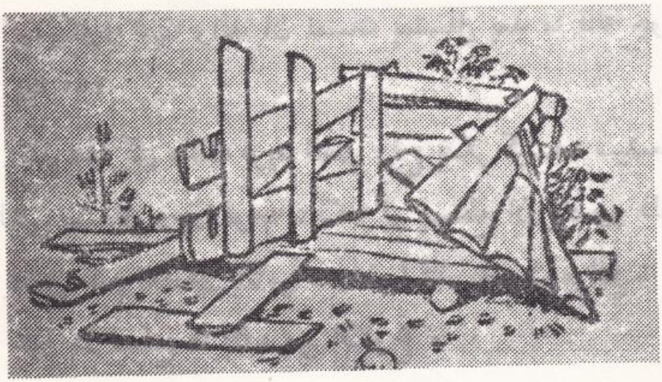
— انه الايل الذكر .

— ييه ، أراهن انه يثأر . انه يعتقد أننا قتلنا خشفه .

ومرت بخياله صورة القرون الهائلـة المتشعبة فاكتسحت جسده رعدة خفيفة .

مساعدا حارس الغابة

نظر فريد الى هانك وتساءل مع نفسه ان كان لايزال يتذكر كم كان قرنا ذكر الايل طويلين وحادين ، لكن هانك كان مشغولا بتفحص الاضرار التي لحقت بالكوخ وهو يصفر من بين اسنانه



بصوت واطىء وكان يصعب القول انه يفكر بالايل في ذلك الوقت.

وشعر فريد ان عليه ان يذكره وهو يحاول ان يبدو كلامه عرضيا:

ـ هل تعتقد ـ كما اعتقد أنا ـ ان ذلك الايل الذكر لا يزال في الجوار ؟

ـ وراح ينظر الى آثار الاظلاف التي بدت له حادة أيضا . ورد هانك :

— أثناء وجودنا هنا ؟ ما الحكاية ؟ هل أنت خائف ؟

كان هانك يتكلم وهو ينظر الى فريد وكأنه يتحداه ان يقول انه خائف وصاح فريد :

— كلا !

نظر هانك الى فريد بثبات وقال :

— لا نستطيع ان ندع جو يعلم أن أولئك المتسللين قد أخافونا، لقد عينا عمليا كمساعدين له وعلينا ان ننتبه لما حولنا ، وسيكون شيئا رائعا ان نمسك بمتسلل بعد ما قاله جو .

— بيه ...

كان هذا كل ماقاله فريد الذي راح يفكر كيف سيشعر لو أنه التقى بمتسلل وجها لوجه ، لكنه لم يستطع ان يتصور ذلك . كان يفضل عدم التفكير بالامر . واخيرا قال بصوت مرتفع :

— هيا بنا نصلح ما تلف من الكوخ .

كانت الالواح قد انتزعت من المساند الجانبية لكن عددا منها كان لايزال مثبتا من جانب واحد ولم يكن من الصعب بمكان تثبيتها في مكانها بقوة مرة اخرى . وبعد اكمال التصليحات قال هانك :

— نبدأ بالسطح الآن . من حسن حظنا أننا تذكرنا جعل الجدار الامامي أعلى من الخلفي وهذا يمكننا من عمل سقف منحدر

الى جهة واحدة ، وبذلك تجنبنا متاعب السقف المنحدر الى جهتين . سأقوم أنا بالتثبيت بينما تناولني أنت الالواح .

كان هانك يتكلم بمرح وتساءل فريد ـ كما فعل عدة مرات في نصف الساعة الاخير ـ ان كان هانك يتظاهر بان معنوياته مرتفعة اكثر مما هي عليه في الواقع . وقال فريد لنفسه (اذا لم يكن هانك خائفا ، فيجدر بي أنا ايضا ان لا أخاف) وفكر أيضا بان الايل لن يأتي مادام قرب الكوخ وظل يركز على هذه الفكرة .

تطلب اكمال السقف عشرة ألواح . وقد ثبتها هانك في مكانها ثم نشر النهايات ليجعلها متساوية . وقال فريد :

ــ سأقطع بعض اغصان الشوكران ، الاغصان المسطحة ستكون أفضل ونستطيع ان نسمرها بشكل متداخل .

كان المساء قد حل حين وضع آخر غصن من اغصان الشوكران في مكانه وكانت الشمس قد اختفت منذ مدة طويلة خلف قمة جبل الايائل بينما هب نسيم مسائي خفيف من الوادي . غير ان الولدين لم يلاحظا نزول العتمة وهما يقفان ليتطلعا باعجاب الى الكوخ الذي بنياه بأيديهما .

كان الجدار الامامي يرتفع ستة أقدام عن الارض وكان السقف ينحدر نازلا فيكاد يلامس الحائط الصخري خلف الكوخ . وقال فريد وهو يحاول ان يبدو الامر وكأن بناء كوخ مثل الذي بنياه ليس أمرا مثيرا للاعجاب بشكل خاص .

ـــ لا بأس ، اذا وقفت على مبعدة منه فسيبدو جزءا من الغابة.
وقال هانك وهو يهز رأسه موافقا

ـــ خاصة عندما يهبط الظلام . يستحسن ان نعود الى البيت.
لنتحرك وللمرة الاولى انتبه فريد كم كان الظلام قد انتشر.
نظر خلفه الى الاشجار المحيطة بهما . كانت تبدو أقرب
واكثف في ظلام المساء وكان كل ما استطاع ان يقوله هو
(هيا بنا) .

وصل الصديقان الى القرية في اللحظة التي أضيئت فيها أنوار الشارع . وفي الالتماعة المفاجئة لاحظ فريد شخصا يتجه نحوهما من جهة بيتهم . وفي اللحظة التالية عرف في الشخص القادم أمه . كان هناك شيء ما في طريقة مشيتها ، خطوة سريعة مضطربة عرف فريد منها ان أمه قلقة فصاح :

ـــ اماه ! هأنذا ! ماالامر ؟

كان شعوره بأن أمرا خطيرا حصل قد جعل صوته متهدجا. قالت السيدة سمرز بعد ان اقترب الصبيان منها :

ـــ انها جاني ، لم أرها منذ الساعة الثالثة تقريبا ، الوقت قد
تأخر وأنا قلقة عليها ، لقد اتصلت بجميع الجيران لكنها
ليست عند أي منهم .

هبط وحي مفاجيء على فريد . لقد عرف أين كانت جاني ، وتطلع من فوق كتفيه الى الهيكل الهائل لجبل الايائل الذي يرتفع

معتما وسط ما تبقى من وهج الغروب . كانت البرودة قد انتشرت مع المساء ولم يكن مما يسعده ان يفكر بجاني وحيدة فوق الجبل .

وقال بصوت جهوري حاول ان يداري به انزعاجه :

— سوف نجدها .

وبدا ان هانك أيضا يعرف أين يمكن ان تكون جاني فقد قال للسيدة سمرز بكل ثقة (لا تقلقي) واكمل قائلا لفريد (هيا بنا) واستدار الولدان وعادا على الفور . نادت السيدة سمرز خلفهما وكان واضحا من صوتها انها لم تكن واثقةأنهما يعرفان ماذا يفعلان. وصاح فريد (سنعثر عليها) .

لكنه فجأة شك في أنهما سيعثران عليها فعلا في الغابة المظلمة فسأل هانك :

— أتظن أنها تبعتنا ؟

وللمرة الاولى اكتشف كم سيكون عسيرا العثور على شخص ما فوق جبل الايائل خاصة في مثل هذا الوقت حيث يكاد الظلام يغطي كل شيء . ولكن لا يمكن ان يتركا جاني هناك لوحدها . يجب ان يعثرا عليها بأية حال من الاحوال . وقال هانك :

— لست أدري ، يبدو أنها تقوم بعمل ما .

رد فريد :

— أتظن ذلك ؟ ربما علقت فوق شجرة لم تستطع النزول منها . كان يفضل ان يفترض ذلك بدلا من مئات الافكار المرعبة التي ازدحمت في ذهنه .

ما كاد الصبيان يعبران السد حتى بدأ فريد ينادي :

ـ جاني ! هَي جاني ! اظهري ايتها الحمقاء !

وتردد صدى صوته بين سفوح الجبل مرتدا اليه في نواح موحش واهن . وشهقت الريح عبر نهايـات الاشجار في هبوب متواصل ذي صوت غريب . وصاح فريد مرة اخرى . كان هو الذي يصـدر الاصوات بدلاً من الاصغاء الى أصوات الغابة في ذلك الليل المعتم . وقال هانك الذي لم يعد صوتـه هادئا واثقا كالمعتاد :

ـ يحسن بنا ان نتجه الى الكوخ ، بودي لو كان معنا مصباح، لم يعد الضوء كافيا لرؤية موطيء القدم .

بقي فريد قريبا جدا من هانك وكان يصيح مناديا جاني في فترات متعددة مصغيا بسكون بعد ذلك عله يسمع ردا . وفكر ان الضجة التي يقوم بها تفيد في طرد الحيوانات المتوحشة بعيدا عنهما وخاصة الايائل ذات القرون الضخمة .

تدلت الاشجار قريبا جدا فوقهما حين بدآ يتسلقان المنحدر الجبلي . كانت تتمثل أشكالا غريبة مخيفة وتبدو وكأنها تنحني فوق فريد محاولة خنقه . وظهرت اشباح الصخور في الظلام مرتين اكبر وأربع مرات أعتم مما هي عليه في الحقيقة .

(بررر)قالها فريد ليتنفس عن مشاعره غير انه اكمل (لقد برد الجو جدا) . ليس من المعقول ان يدع هانك يعـرف انه لم يكن مرتاحا بسبب الظلام .

وقال هانك :

— المكان هنا مخيف جـدا بالنسـبة لبنت صغيرة ، أنا نفسي لا أحبه كثيرا .

شعر فريد بتحسن . اذا كان هانك قد اعترف بأنه خائف فان فريد لا يعبأ بمخاوفه الخاصـة كثيرا . وراح يصيح من جديـد (جاني !) وارتدت اليه الكلمة في أنة بعيدة . وبدأ يصيح :

— أنا لا .. (لكنه توقف) ماذا كان ذلك ؟ (همس بتوتر)

ومن خلال الظلمة والرياح الشديدة جاءت صرخة واهنة . بدت بعيدة وخائفة . ثم عاد السكون .

وصرخ فريد بصوت يملؤه الارتياح :

— انها جاني ! أراهن أنها جاني !

وركض الصبيان متعثرين ومتسـاقطين فوق الأرض الوعرة من عجلتهما . كانا يصيحان بصوت واحد يناديان باسم جاني .

واخيرا جاء الرد الذي اتضح أنه قريب جدا :

— هنا ! انني هنا .

وكانت جاني فعلا . وبلغت فرحة فريد حدا جعلـه يصيح مؤنبا :

— أين أنت ؟ وما الذي تفعلينه هنا بحق الجحيم ؟ لماذا لا تهتمين بما يعنيك فقط ؟ وأين أنت على أية حال ؟

الحماقات المزعجة ! لماذا لا تهتمين بما يعنيك فقط ؟ وأين أنت على أية حال ؟

ردت جاني من مكان ما أمامهما :

ــ اوه .. اسكت ! أنا هنا تحت هذه الصخرة .

وجرى الاثنان الى الامام وكادا يسقطان فوق جاني . كانت جاثمة تحت صخرة ناتئة وركتباها ملتصقتان لذقنها وهي ترتجف من البرد . وفي الظلام بدت عيناها السوداوان واسعتين ووجهها النحيف شاحبا . وسألها فريد وهو يحملق فيها :

ــ ما القصد من وراء هذا ؟

سحب هانك جاني فأوقفها على قدميها . ولاحظ الولدان ان شفتيها كانتا مطبقتين بقوة بشكل يدل على أنها كانت تحاول منع نفسها من الصراخ . وتبخر غضب فريد وسألها بلطف :

ــ ما الحكاية ؟

ارتعدت جاني ثم دست كفيها في جيبي بنطلونها وقالت واسنانها تصطك :

ــ لقد شاهدوني ، أخفيت نفسي وكنت أخشى ان اتحرك .

خفق قلب فريد خفقة عدم ارتياح . حدق الى هانك وعرف أنهما يفكران بالشيء ذاته . وسأل فريد :

ــ من الذي شاهدك ؟ (لكنه كان يحس انه يعرف الجواب)

أرجحت جاني جدائلها وسألت :

ـ كيف لي ان أعرف من هم ؟

كانت تتكلم باطمئنان اكبر وبدا واضحا انها استعادت شجاعتها واكملت :

ـ كانا رجلين فقط . أحدهما نحيف والآخر بدين . كنت أتسلق حول حافة هذه الصخرة وشاهدت البنادق .

ـ البنادق ! أي بنادق ؟

نظر فريد من خلف كتفيه لكن الظلام كان يخفي حتى الشجيرات عن النظر . في مكان ما خلفه ، في الظلام ، كان هناك متسللون لديهم بنادق . وأحس فريد بوخز في رأسه وأجابت جاني :

ـ بنادقهم ياغبي ! كان لديهما بندقيتان كبيرتان وقد نظر الي مباشرة .

ـ من ؟ ... البنادق أم الرجال ؟

وجهت جاني الى فريد نظرة استخفاف :

ـ اذا كنت لا تصغي فكيف استطيع اخبارك ؟

بدأ فريد يقول شيئا ما لكن هانك أوقفه قائلا :

ـ استمري ياجاني ، تكلمي .

قالت جاني :

ـ حسنا ، كان الامر هكذا . كنت أسير هنا . يمكن القول انني كنت استكشف ، انت تعرف .

غمغم فريد (تتجسسين علينا) كان يريد ان يعرف ان كانت جاني قد وصلت الى الكوخ لكنه لم يجرؤ على ان يسأل في الحال. وتجاهلت جاني تعليق فريد واعادت قولها بحدة :

— استكشف ، كنت أتسلق هذه الصخرة وفجأة ...

وتوقفت عن الكلام باسلوب درامي ، وبدأ رأس فريد يدور. لكنه لم يكن ليدع جاني تعرف شعوره . وسأل بصوت مرتفع :

— وفجأة ماذا ؟

— شاهداني بالطبع ، وكان لديهما بندقيتان كبيرتان .

قال هانك :

— يبدو لي أننا تجاوزنا هذا من قبل ، الا تستطيعين الايضاح اكثر ياجاني ؟

— وماذا أوضح من رجلين معهما بندقيتاهما . لقد وقفا ونظرا اليّ ، وكذلك فعلت البندقيتان . لقد بلغ بي الرعب جدا جعلني عاجزة عن الحركة . واضافة الى ذلك فقد حشرت قدمي في الصخرة.

وسأل فريد :

— ثم ماذا حدث ؟

كان يستطيع تصور الرجلين والبندقيتين جيدا . ونظر الى البقعة التي يفترض ان يكونا قد وقفا فوقها ، وللحظة خاطفة تخيل أنهما لا يزالان واقفين هناك . لكن جاني اعادته الى الواقع حين قالت ببساطة :

— لم يحدث شيء ، لقد بدا لي أنهما تلاشيا واختفيا بين الادغال.
سأل هانك :

— في أي اتجاه ؟ هل لاحظت الى اين ذهبا ؟
واشارت جاني باتجاه الوادي :

— في ذلك الاتجاه كما أعتقد . لم اكن انظر اليهما فقد كان علي أن أغمض عيني لكي اتمكن من اخراج قدمي من الشق الذي في الصخرة وقد ...

وأوقف فريد هذا الشرح العديم الفائدة فقد امسك ذراعها وسحبها خلفه نازلا على المنحدر . كان من الافضل لفريد ان يقوم بعمل ما بدلا من الاستماع الى ذلك الحديث عن الشخصين الغريبين وراح فريد يدمدم :

— هيا بنا الى البيت . أغلقت عينيها لتخرج قدمها من الصخرة!
قال هانك فجأة :

— كف عن ذلك ، لقد رأتهم على الاقل ، وهذا اكثر مما استطعنا نحن ان نفعله .

غمغم فريد (حسنا ، حسنا) واصطدم بشجرة في الظلام وأطلق صرخة ألم صغيرة وقالت جاني :

— اتنبه لطريقك ، انك تسحبني فوق كل الادغال التي على الجبل . صاح فريد :

— ليس بيدي حيلة ، انه الظلام ،اليس كذلك ؟ لا يستطيع المرء هنا رؤية يده وهي أمام وجهه •

ومد يديه وراح يتلمس طريقه بين الادغال ، وحين انفرجت رأى الخط الشاحب للسد أمام لوحة ماء البركة السوداء وقال :

— ذاك هو السد على أية حال •

كان شكل السد المألوف منظـرا يبعث على الطمأنينـة • وارتفعت معنويات فريد •

كان هانك قريبا جدا خلفهمـا وبعد قليل خرج الثلاثة من منطقة الادغال وصارت البركة امامهم وخلفهم كانت الظلمة الهائلة لجبل الايائل ترتفع كجدار عملاق •

تطلع فريد من خلف كتفه وقال :

— يحسن بنا ان نسرع •

أمسك بذراع جاني وسحبها الى الامام • وفجأ توهج ضوء باهر فوقهم تماما فجمدهم في مكانهم • وللحظة خاطفة توقف قلب فريد • وصاح هانك بصوت أجش :

— انبطحوا ! الى الاسفل !

وانبطحوا أرضا في حركة سريعة واحدة • كان وجه فريد مضغوطا بشدة على التراب حتى أنه كان يتنفس بصعوبة وكانت عيناه مغلقتين باحكام • وغزت رأسه ذكرى غريبة • لقد ادرك الان لماذا أغلقت جاني عينيهـا حين رأت الرجلين الغريبين • في حالات الرعب يكون من الافضل ان يغلق المرء عينيه •

لكزه كوع " في جنبه فعرف أنه لجاني • كانت جاثمة بينه وبين هانك • رفع رأسه ببطء وفتح عينا واحدة • كان الظلام مخيما • لقد اختفى الضوء •

(ماذا حدث ؟!) • لثانية خيل لفريد انه كان يحلم وأنه لم ير ذلك الضوء الساطع حقيقة • وهمس هانك :

— لقد ذهبوا • هيا بنا •

ولم يكن أحد بحاجة الى ان يسمع اقتراح هانك كي يتحرك • في وثبة واحدة نهضوا وبدأوا يركضون • تسابقوا عبر السد وصعودا خلال مروج القرية وكأن قطيعا من الذئاب في أثرهم • أحيانا كان فريد يتصور ان شيئا ما يطاردهم وكانت الفكرة تجعل قدميه تطيران ركضا •

لم يخففوا سرعتهم إلا بعد ان بدت لاعينهم الاضواء البهيجة المحيطة بملعب الغولف • وحينما وصلوا الى أعمدة انارة الشارع أمام مكتب البريد توقفوا • كان الثلاثة منقطعي الانفاس ، مبيضي الوجوه ، بينما استدارت عيونهم بسبب الاثارة العنيفة • وسألت جاني حينما استطاعت ان تتكلم :

— ماذا ... ماذا كان ذاك ؟

رد هانك :

— متسللين ، ذوي مصابيح الصيد •

تطلع فريد اليه • كان هانك يعرف عن الصيد اكثر مما يعرف

هو ، لان جده كان غالبا ما يقوم ببعض جولات الصيد الصغيرة • ولكن في كل مناقشاتهما في موضوع الصيد لم يستعمل هانك هذه العبارة (ذوي مصابيح الصيد) •

وسألت جاني :

— ماذا تعني (ذوي مصابيح الصيد)

فرح فريد لانها سألت هذا السؤال لانه كان يكره ان يعترف بجهله أمامها • وقال هانك :

— انهم الاشخاص الذين يطلقون النار على الايل بعد ان يبهروا عينيه بضوء ساطع •• وهذا مخالف للقانون •

وجحظت عينا فريد :

— اذن فنحن •• أعني ان الصيادين حسبوا أننا أيائل وكان من المحتمل ان يطلقوا علينا النار •

قال هانك : ربما •••

وزفر فريد زفرة طويلة وكان كل ما استطاع قوله هو :

— ليلة سعيدة حقا •

وسألت جاني :

— وهل تقف الايائل هناك فقط وتدع نفسها تقتل بالرصاص ؟ لابد أنها غبية •

قال فريد الذي بدأ يفهم ما الذي يؤدي اليه استعمال مصباح الصيد :

ـــ ان الضوء يسحرها، أو يخدرها كما تفعل الافعى مع الارنب.
وارتعدت جاني :

ـــ انا ذاهبة الى البيت ، هيا بنا يافريد .

وسارت يتبعها فريد وهانك عن قرب .

عندما وصلوا الى البيت تأخر فريد وهانك . كانت هنالك اشياء يريدان مناقشتها دون ان تسمع جاني . وفيما هما يراقبانها وهي تفتح الباب قال فريد :

ـــ أراهن أنها ستخبر ماما عن كل شيء . كان يجب ان نحذرها.
رد هانك :

ـــ أراهن أنها لن تفعل .

وأصغيا بعناية . وصل اليهما صوت السيدة سمرز من الداخل . كانت تتكلم بلهجة حادة ، لهجة الام التي تنفس عن قلقها بالغضب وكانت ردود جاني مبهمة . كل ماقالته هو أنها تاهت في الغابة .

قال هانك مستحسنا : يالها من بنت طيبة .

حدق فريد اليه . أحيانا يقول هانك أغرب الاشياء . كل ذلك لانه لا أخت له . وسأل فريد فجأة :

ـــ وماذا سنفعل لأولئك المتسللين ؟

كان متأكدا أنهما لن يسمحا للمتسللين باخافتهما وابعادهما

عن الكوخ ، لكنه كان يأمل ان لدى هانك فكرة يمكن ان تساعد على طردهم • لم يكن فريد يرغب ان يظن احد خطأ أنه أيل • كانت ذكرى هروبهم المحفوف بالخطر تجعل ركبتيه تصطكان فرحا • مسح هانك ذقنه وقال :

— كنت أفكر ، أنت تعلم ان جو طلب منا امساك المتسللين •

— نعم ، واحضارهم اليه مربوطين كالخنازير ، ييه ، أعلم ذلك •

— حسنا ، أفرض أننا حصلنا على الموافقة لقضاء الليل في الكوخ ، ستكون لدينا فرصة أفضل لمراقبتهم ، فهم يعملون في الليل غالبا •

ظل فريد صامتا ، لم يستطع ان يقول انه لا يحب فكرة قضاء الليل فوق جبل الايائل ، لكنه كان يطمح الى امساك المتسللين ايضا ، ولم يدر ماذا يقول • وبدا ان هانك قرأ افكاره :

— لن يفعل المتسللون شيئا ضدنا ، أنت تعلم • سنكون مصدر ازعاج لهم فقط وأنا أرى هذا شيئا جيدا • وربما سنمسكهم حقا •

سأل فريد بخشونة : كيف ؟

— ربما نراهم ، تماما كما رأتهم جابي • ونستطيع بعد ذلك ان نخبر جو • وربما نمسكهم وهم يطلقون النار على أيل وسيكون ذلك أفضل بكثير •

وشعر فريد ان هانك محق في ان المتسللين لن يؤذوهما •

وشعر بتحسن • وبدأ يرى في محاولة الامساك بالمتسللين مخاطرة ممتعة • وربما يعتبران بطلين • وهز رأسه موافقا :

— يجب ان نحصل على رخصة اشعال النار من جو باتشز •

— غدا سنذهب لرؤيته قبل ذهابنا الى الكوخ • أتظن أنك تستطيع الحصول على الموافقة لقضاء الليل في الكوخ ؟

— أبي لا يمانع وسوف يرتب الامر مع ماما لتوافق • نلتقي غدا •

حين التقيا صباح اليوم التالي في ملعب الغولف كان الصبيان محملين بالبطانيات ومستلزمات الطبخ وادوات العمل ورزم كبيرة من المأكولات • كان من الواضح ان الموافقة على قضاء الليل في الكوخ قد أعطيت لهما • لم يخبر فريد صديقه كم لزمه من الوقت هو وأباه لاقناع أمه بالموافقة • يكفيه أنهما نجحا أخيرا •

قال فريد وهو يلقي حمولته على الارض :

— أشعر كأني بغل حمولة •

فرك ذراعيه المتشنجين ونهد • كانت حزمته قد تبعثرت • تناثرت رزم المأكولات فوق البطانية وبعجت المطرقة المقلاة بشدة • نظر الى حزمة هانك المربوطة جيدا وتعجب كيف يستطيع هانك دائما ان يضع الاشياء في مكانها الصحيح • لكن فريد لم يكن يريد ابدا ان يدع المزعجات الصغيرة تشغله كثيرا فقال لهانك :

— لندع هذه الاشياء عند السد ونذهب لرؤية جو •

رد هانك :

ـ حسنا ، لملم هذه الاشياء • وتعالَ •

لفلف فريـد حزمته بسرعة وتبـع هانك نحو السد • أنزل الاثنان حزمتيهما تحت شجرة صنوبر ثم استدارا عائدين الى بيت جو •

قال فريد بينما كانا يدخلان ساحة بيت جو :

ـ أملي ألاّ يكون جو قد غير رأيه ، ربما يفكر بأنه يجب ان يقبض على المتسللين بنفسـه وحينذاك لن يمنحنـا رخصة اشعال النار •

رد هانك :

ـ آخر ما يفعله جو هو ان يطارد المتسللين • انه أعجز من ان يشد رباط حذائه • قل لي • أين الجميع ؟

كان سكون غريب يخيم على الساحة والبيت وكان البيـت يبدو مهجورا • حتى الكراكيب التي في الساحة بدت مستوحشة بائسة •

قال فريد:

ـ أراهن أنهم ذهبوا الى مكان ما • لن نحصل على الرخصـة هذا اليوم •

الآن • بعد ان وطن نفسه على قضـاء الليلة فوق الجبل ، واقتنع بالفكرة ، يجد نفسه يكره ان يخيب ظنه • وصاح فجأة :

ـ جـو !

كانت صرخته تعبر عن كل كدره بسبب عدم وجود جو ليعطيه الرخصة . ولم يسمع لصرخته جواب . وكانا يوشكان على المغادرة حين تذكر فريد شيئا . واشار الى الشونة قائلا :

ـ ربما يكون جو غارقا في غفوة أخرى .

ووجدا جو مسترخيا فوق المصطبة وقبعته فوق عينيه تماما كما شاهداه من قبل . كان يبدو الامر كما لو انه لم يغادر مكانه ذاك في الزمن الفاصل بين الحالتين .

صاح فريد : جو !

انتفضت احدى قدمي جو وهب صاحيا وهو يقول :

ـ ذاهب توا ياسيدتي، ذاهب الى البطاطا حالا . كنت فقط...

ورأى الولدين فتراجع غاطسا متكئا على الجدار وبدا عليه شعور غامر بالارتياح :

ـ كنت استريح فقط. العائلة ذهبت الى المدينة . اخذت السيدة مجموعتها بقضها وقضيضها في الشاحنة . ليس بالامكان معرفة ما ستفعله هذه المرأة بعد ذاك .

وهز رأسه متعجبا فقال له هانك :

ـ استمر ياجو ، لقد جئناك بشأن العمل .

قال فريد : فيما يخص المتسللين .

ولم يقل جو شيئا ، هرش احدى اذنيه فقط . وأطلق فريد

آهة تدل على نفاذ الصبر ثم بدأ يخبره عن رؤية جاني للرجلين وعن مصابيح الصيد . وكلما توغل في الرواية كلما زاد انفعاله وبدا أن كلماته تتساقط واحدة فوق الاخرى . وانهى حديثه قائلا :

— وهكذا ، اذا أردتنا ان نساعدك في القبض عليهم فيجب ان تعطينا رخصة اشعال النار كي نستطيع فضاء الليل في الكوخ وطبخ الطعام هناك .

قال هانك : هذا صحيح .

وراح الولدان يتطلعان الى جو . خلال رواية فريد كان قد بقي جالسا وقبعته على عينيه . ربما يكون قد استسلم لاغفاءة اخرى . وفجأ مد يده الى جبينه واخرج مظروفا رماه نحو هانك وهو يقول :

— اقرأ هذا .

قرأ هانك وفريد الكتاب سوية . كان من هيئة الولاية للاسماك والغابات وكان عليه امضاء مفوض الغابات . كان ينص على ان تقارير قد وصلت الى القسم تفيد بأن هنالك متسللين في المنطقة وان مراقب غابات من الولاية سيرسل للنظر في الموضوع وقال جو حينما اعاد اليه هانك الرسالة :

— الامر كله سيكون موضع عناية ، المسؤولون في الولاية يعرفون كل شيء جيدا .

كان فريد يعرف أنه يجب ان يفرح لان الولاية كانت مهتمة

بموضوع المتسللين ، لكنــه على الرغــم من ذلك كان مستاء • فرصتهم في المغامرة كانت توشك ان تضيع • نظر الى جو المتكيء الى جدار الشونة بكسل وخطرت له فكرة فقال فجأة :

— قل لي ، ماذا سيظن مراقب غابات الولاية حين يجد أنك لم تقم بأي جهد للقبض على المتسللين ؟ ألا ترى أنني أنا وهانك يجب أن ••• أعني نستطيع ان نقوم ببعض التحقيقات لك ؟

نظر جو الى فريد من تحت طرف قبعته ثم قرأ الكتاب مرة اخرى وراح يغمغم • نظر فريد الى هانك ولم يجرؤ أحد منهما على قول كلمة اخرى • واخيرا قال جو :

— اذن ، انتما تريدان رخصة اشعال النار ؟

كتم فريد صيحة فرح • كان يعرف ان هذه هي طريقة جو في القول انه يقدّر مساعدتهما له في تتبع المتسللين •

بحث جو في جيوبه واخيرا سحب دفتر نماذج الرخص من مكانٍ ما داخل قميصه • شخبط اسمه على الورقة بقلم رصاص قصير جدا ثم أعطى الورقة لهانك قائلا :

— هذه رخصة اشعال النار • يجب عليكما العناية باختيار المكان المناسب لاشعال النار •

شكر الصبيّان جو وغادرا الساحة بعجلة وهما يخشيان ان يناديهما جو ليقول انه غير رأيه •

قال فريد بينما كانا يحملان حزمتيهما عند السد :

— من حسن الحظ ان جو كسول . أتدري ؟ لقد أخفناه أيضا .
قال هانك :

— نحن الآن مساعدان حقيقيـــان ، يجب علينا ان نفتح عيوننا جيدا .

عبر الولدان السد وبدآ تسلقهما الطويل عبر الاشجار العالية نحو فسحتهما . كان اليوم صيفيا دافئا وشعر الولدان بحزمتيهما ثقيلتين جدا على ظهريهما ، وكانا سعيدين جدا حين وصلا البقعة المليئة بالادغال فوق الجرف الصخري تماما . وقال فريد :

— لسنا بعيدين الآن ، أتـــرى ؟ يبدو ان شيئا ما قضم هـــذه الادغال .

واشـــار الى مجموعـــة من شجيرات الخمان كانت اوراقها الواطئة قد انتزعت . وقال هانك وهو يتوقف ليتفحص الشجيرات:
— ربما يكون أيلا . هذا يدل على وجود الايائل هنا . إنتبه!!
كانت الكلمة الاخيرة صرخة تحذير .

ومن بين الادغال ، خلف فريد ارتفع زوج هائل من القرون. وانفتل فريد في الوقت المناسب ليرى رأس الايل الضخم . ولثانية نظر مباشرة الى عيني الايل . ولم يتحرك فريد .. ولم يتنفس . بعد ذلك خفض الايل رأسه واتجه القرنان الهائلان نحو فريد تماما. وكانت هذه الحركة التي حفزت فريد . قفز الى الخلف ، اصطدم بهانك وانطلق يركض وهانك في اعقابه تماما . واندفع الاثنان عبر الادغال دون ان يحفلا بالاغصان وكتل العليق التي كانت تضربهما

وتخدشهما • كل ما كان يهمهما هو ترك اكبر مسافة ممكنة بينهما وبين ذينك القرنين الحادين اللذين يعتليان رأس الايل • وما كاد يصلان فسحتهما حتى اختلس هانك النظر الى الخلف وقال لاهثا :

ـــ خفف السرعة ، انه لا يطاردنا •

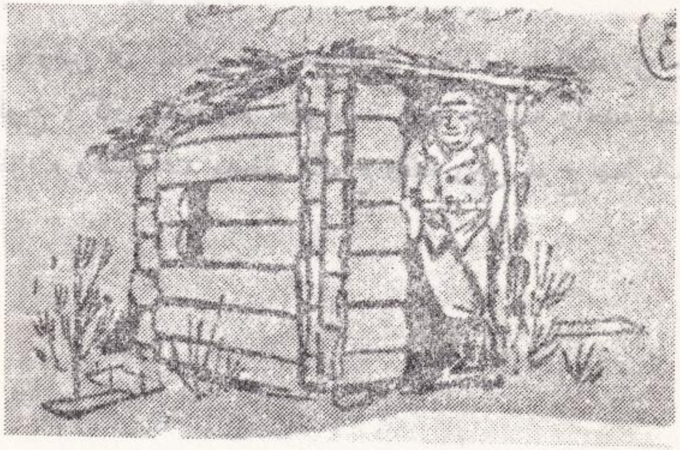
رمى فريد حزمته على الارض وجلس فوقها • كان منقطع الانفاس • وشهق (واو) ونظر الى جهة الادغال • لم يكن هناك اثر للايل • وقال (نجونا باعجوبة) • كان يتكلم بلا مبالاة ليظهر لهانك انه لم يكن خائفا بالفعل • وقال هانك :

ـــ ذلك الايل لا يحبنا •

وقبل ان يتمكن فريد من الرد سمعا صوتا قادما من جهة الكوخ • كان يبدو وقع خطوات • وفي حركة واحدة استدارا لينظرا • وهناك عند مدخل الكوخ وقف رجل يلوح لهما باسما •

زائر في الكوخ

لدقيقة كاملة لم يتحرك اي من الصبيين . وقفا عند حافة الفسحة وراحا يتطلعان الغريب . تمنى فريد ان يتمكن من التفكير في شيء يقوله ، وشعر بحماقة وقوفه هناك ينظر الى الرجل الواقف في مدخل الكوخ .



كان الرجل طويل القامة متين البنيان يرتدي ملابس رجال الغابات ، سترة جلدية ثقيلة ، جزمة عالية ، وقبعة بالية من اللباد . وكانت تتدلى من كتفيه حقيبة ظهر . كان وجهه مدورا برونزيا

يميل الى اللون الاسمر المحمر . كان يبدو بوضع مطمئن ومرتاح تماما وكأنه صاحب الكوخ وهو يدعو الولدين لزيارته ، وفجأة أثار تصرف الرجل الرقيق سخط فريد . على الرغم من كل شيء فالكوخ يعود اليه والى هانك ، وليس لهذا الرجل الغريب اي حق في دخوله دون موافقتهما . وغمغم فريد لهانك (ياللجرأة) ودمدم هانك بما يشبه الموافقة على كلام فريد (من يجرؤ ...) لكنه توقف . وعرف فريد ان هانك لم يستطع ان يجد ما يقوله . ونظر الى الرجل فلاحظ انه كان لايزال يبتسم . وكان واضحا أنه يتوقع ان يبدأ أحدهما الكلام .

— من أنت ؟ (سأل فريد وأدهشه ارتفاع صوته) .

ابتسم الغريب ابتسامة عريضة . تغضن وجهة السميك في طيات امتدت من اذنيه حتى اسفل ذقنه . كان في تلك الابتسامة شيء ما اكتسح سخط فريد . وعلى الرغم منه رد عليه بابتسامة .

وقال الرجل :

— هذا أفضل .

كان صوته عميقا ذا جرس مريح وكان متفقا جدا مع مظهره . وعاد يقول :

— انتما متحيران نوعاما ، إه ؟

هز هانك وفريد رأسيهما بحركة واحدة وبدأ فريد يقول (من ..) لكنه لم يكمل فقد قاطعه الصوت المريح :

ـــ سام ترايمور •

ومد السيد ترايمور يدا ضخمة نحو الولدين • تقدم الولدان وتصافح الثلاثة باحترام • كانت يد السيد ترايمور ثابتة وتبعث على الاطمئنان •

قال السيد ترايمور وهو يسند ظهره الى اطار الباب :

ـــ لديكما مكان لطيف هنا • هل نويتما قضاء الليل فيه ؟

واشار بيده الى الحزمتين اللتين يحملهما الولدان • كان فريد لا يزال راغبا في معرفة سبب تشريف السيد ترايمور لهما بالزيارة وقرر ان يعرف ذلك قبل الاجابة على اي سؤال • لذا سأل بحذر :

ـــ انت لا تعيش قريبا من هنا ، اليس كذلك ؟ كيف عثرت على كوخنا ؟

رمشت عينا السيد ترايمور ولاحظ فريد كم كانت عينـاه لامعتين كانتا تشبهان جليـدا أزرق يتلألأ تحت أشعة الشمس • وقال السيد ترايمور :

ـــ انا غريب عن هـذه المنطقة • لدي عمل صغير هنا • شيء ما جئت من أجل النظر فيه •

وصاح فريد بصوت مرتفع (هي ••) لقد عرف فجأة من هو السيد ترايمور ولماذا جاء الى جبل الايائل •

نظر هانك والسيد ترايمور الى فريد في دهشة وصاح فريد :

ـــ انا أعرف من تكون • هانك ، هل تذكر ما قاله جو ؟ أراهن أنه هو ، الشخص الذي أخبرنا عنه جو •

شهق هانك وعرف فريد انه فهم الامر أيضا • كان السيد ترايمور هو مراقب الغابات القادم من الولاية • ليس من شك في ذلك • شكله يدل على ذلك بالتأكيد ، ثيابه ، السكين التي يحملها في حزامه ، جزمته ، وحتى طبعه المستريح غير المرتبك • كل ذلك يشيء بأنه رجل يعرف الغابة والحياة البرية جيدا •

وقال هانك : بيه •• أراهن انه هو •

ونظرا الى السيد ترايمور باعجاب واضح ، هنا رجل يتحمل مسؤولية مهمة رسمية • لقد جاء ليتتبع المتسللين وهما مستعدان لمساعدته • لـم يقل السيد ترايمور شيئا لكـن عينيه الزرقاويين البراقتين راحتا تتمعنان فيهما • وقال فريد بنغمه سريعة متلهفة :

— لقد اخبرنـا جو أنك قادم • بعد حوادث التسلل ومخالفة تعليمات الصيد التي تكررت هـذه الايام لابد من وجود شخص ما يساعد جو في عملـه • جو حارس غابة جيد • (واضاف بسرعة) لكن المساعدة تفيد كثيرا •

كان فريد يرجو انه لم يكشف بشكل واضح عن حقيقة عدم كفاءة جو في عمله • وراح يركل جذر شجرة قريبة وتمنى لو أنه لم يذكر جو في حديثه • ولحسن الحظ بدا أن السيد ترايمور لم يكن يصغي اليه • كان ينظر الى السماء فوق قمم الاشجار بعينين ضاقتا حتى اصبحتا خطين رفيعين • وكان واضحا انه يحاول ان يقرر ماذا كان يستطيع الوثوق بهما أم لا • وقال أخيرا بصوت بطيء متأمل:

— وهكذا ، لم استطع ان اكتم السر عنكما • اليس كذلك ؟

رد فريد بعجلة :

— لست بحاجة الى القلق بسببنا • لقد اطلعنا جو على كتاب المركز وعرفنا ان شخصا سيصل للنظر في التجاوزات وقال جو اننا نستطيع مساعدته وهكذا ربما نستطيع مساعدتك أيضا •

وراح هانك يتطلـع بأمل الى السيد ترايمور • هز السيد ترايمور رأسه وبيده الضخمة راح يحك ذقنه وقال أخيرا :

— عمل دقيق وخطير نوعاما • كنت آمــل ان أبقى بعيدا عن الانظار وأقوم ببعض الاستطلاعات بصمت قبل ان اعلم جو بوجودي هنا • لكنكم أمسكتم بي يا أصدقاء • اعتقد ان هذا الكوخ يمكن ان يكون ملجأ مفضلا للمتسللين •

نفخ فريد أوداجه غضبا وقال :

— انه لنا وسوف نقضي الليل هنا لنتمكن من اصطياد المتسللين •

لقد أدرك فجأة كم سيكون قضاء الليل في الكوخ اكثر متعة الآن بوجود السيد ترايمور بالقرب •

قال السيد ترايمور وهو يحك ذقنه مرة أخرى :

— هكذا اذن ؟ وعلى الرغم من ذلك فالحذر واجب ، لن أتجول بحماقة في الليل كثيرا ، ربما يطلق المتسللون النار للتسلية فقط •

قال هانك :

— انهم يفعلون ذلك بالتأكيد ، لقد كدنا نقتل برصاصهم ليلة أمس . ولا يأتي الخطر من المتسللين فقط . هناك أيل ضخم يحاول ايذاءنا ، يعتقد أننا قتلنا خشفه ، لقد كاد يحطم هذا المكان .

قال السيد ترايمور وقد بدا مذهولا : الايل يفعل ذلك ؟!

رد فريد الذي لم يتحمل البقاء خارج الموضوع فيما يخص هذا الحديث الفريد :

— بيه ، لقد رأينا آثاره ، كانت في كل مكان حول الكوخ . مثل تلك ! واشار الى الارض حيث بدت بضعة بصمات لاظلاف الايل واضحة فوق البقع العارية من الارض أمام الكوخ .

وقال هانك ببطء :

— شيء مضحك . كنت أعتقد ان هذه الاثار قد طمست الآن. سعل السيد ترايمور فجأة ، ونظر اليه فريد فلاحظ أنه يبتسم مرة اخرى ، وسأل اخيرا :

— ماالذي كان يطاردكما حين صعدتما المرتفع راكضين قبل قليل ؟ تذكر فريد ذلك جيدا ورد (الايل) ومرة اخرى رأى في خياله القرنين الهائلين يرتفعان فوق الادغال قريبا منه وحرك كتفيه منزعجا .

قال السيد ترايمور :

ـ لقد رأيته انا أيضا ، كان ذلك قبل دخولي الكوخ بقليل ، جاء راكضا عبر الفسحة وكأنه يطير ، اعتقد أنه يحب هـذا المكان . هل أنتما متأكدان أنكما تريدان قضاء الليل هنا ؟

نظر فريد الى هانك . لم يكن يريد ان يكون اول من يقول ان فكرة وجود الايل الكبير كزائر متوقع تجعله متوترا . اذا كانا يريدان مساعدة مراقب الغابـات في القبض على المتسللين فانهما لا يمكن ان يعترفا بأن أيلا قد أثر فيهما .

القى هانك على فريد نظرة سريعة . عرف فريد انه كان يفكر بالشيء ذاته فأحس بالثقة تعود اليه وقال بقوة :

ـ نحن لسنا خائفين .

وقال هانك بسرعة :

ـ اذا أبقينا النار مشتعلة فالايل لن يزعجنا .

أعطت الملاحظة الاخيرة لفريد المزيد من الاطمئنان. الايائل لا تحب الاقتراب من النار . وسأل بلهفة :

ـ هل ستسمح لنا بمساعدتك ، سيد ترايمور ؟ نستطيع تتبع آثار الايائل و ... و ...

وتوقف عن الكلام لانـه لم يكن متأكدا تماما من معرفته لواجبات حارس الغابة . وقال السيد ترايمور ببطء :

ـ قد لا تكون فكرة سيئة ، أنت تعلم أنني أريد تجنب الانظار لفترة ، لدي خيمة في أعلى المرتفع وأنا أقيم هناك .

واشار من فوق كتفه الى قمة الجبل . وسأل فريد بلهفة :

ـ اذن نستطيع مساعدتك ؟

ـ اذا وعدتما بعدم اخبار احد بوجودي ، حتى جو .

ونظر السيد ترايمور اليهما نظرة حادة . وهز الاثنان رأسيهما وغمر فريد شعور رائع بالاهمية . هو وهانك قد أصبحا حقيقة مساعدين لحراس الغابة الآن .

قال السيد ترايمور :

ـ حسنا اذن ، هذا ما ...

وقطع كلامه صوت رفيع واضح قادم من أسفل الجرف الصخري :

ـ فريد ! هانك ! أين انتما ؟

صاح فريد غاضبا :

ـ جاني ! ابتعدي من هنا !

هاقد جاءت جاني لتزعجهم تماما في اللحظة التي كان فيها السيد ترايمور يعطيهم ارشاداته . وتكلم السيد ترايمور بسرعة :

ـ جاني ؟ من هي جاني ؟

ـ انها أختي وهي اكبر مصدر للازعاج في ثماني ولايات .

كان فريد يتمنى لو يستطيع ان يقول لجاني رأيه فيها تماما . وقال السيد ترايمور وهو يثبت حقيبته على كتفيه :

ـ اوه ، نعم . لابد انها تشبهك :

ـ تشبهني ! (راح فريد يحدق الى السيد ترايمور باستنكار)

أنت لا تراني بوجه مغطى بالنمش وشرائط في شعري ، اليس كذلك ؟ لا شبه اطلاقا . ليلة سعيدة ، انها قادمة من هـذه الناحية .

سمع صوت من منطقة الادغال في الاسفل يدل على ان جاني كانت تتقدم باتجاه الكوخ . وقال السيد ترايمور :

ـ يجب ان أذهب . لا فائدة من معرفة عدد آخر من الاشخاص بوجودي هنا .

وسأل فريد الذي كان يتطلع الى البدء بالعمل مادام السيد ترايمور قد وافق على مساعدتهما له :

ـ ألا تخبرنا ماذا نستطيع ان نفعل للمساعدة ؟

رد السيد ترايمور :

ـ في وقت آخر ، لن أنسى اتفاقنا .

تحرك مبتعدا عـن الباب وخطا بعنايـة فوق قطع الالواح الزائدة المبعثرة قرب الكوخ . وعندما وصل حافة الفسحة استدار لينظر اليهما :

ـ تذكرا ، حافظا على السر !

ابتسم ابتسامة عريضة ولوح لهما باحدى يديه واختفى بين الاشجار . كان يتحرك بخفة وسكون حتى بدا انه ذاب مختفيا . لم يستطع فريد ان يصدق ان الهيكل الضخم الذي رآه بوضوح

قبل قليل قد اختفى الآن تماما ، وزفر تنهيدة اعجاب طويلـة وهو يقول :

— ياله من رجل ، أراهن انه يعرف كل شيء عن الغابات والحياة في البرية .

قال هانك وهو يهز رأسه :

— من المؤسف انه لم تتح له الفرصة لاخبارنا ماذا نستطيع ان نفعل لمساعدته .

قال فريد بنفاد صبر :

— كل ذلك بسبب جاني ، هيا بنا ، يجب ان نبعدها من هنا .

التقيا بجاني في أجمة غار غير بعيدة عن قمة الجرف الصخري كان وجهها ملطخا بالاوساخ وكان احد شريطيها غير مظفور ، بينما انحلت عقدة الآخر . وسألها فريد :

— اين تظنين نفسك ذاهبة ؟

— الى لا مكان .

كان هذا رد جاني التي دفعت شعرها المحلول خلف احدى أذنيها ولوت أنفها باتجاه السماء . وقال فريد :

— حسنا ، قومي بجولاتك في اتجاه آخر ، هذه الجهة ليسـت (لا مكان) .

أمسك بذراعها وادارها بقوة الى الاتجاه المعاكس . خلصت جاني نفسها من قبضته والقت عليه نظرة سخريـة أخوية وقالت بمرح :

— اعتقد أنكما غير مهتمين بمعرفة شيء عن جو باتشز .

وسأل فريد وهانك في صوت واحد :

— ماذا عنه ؟

ابتسمت جاني بحلاوة وراحت تحدق الى الاعلى ، الى نهايات الاشجار . تمنى فريد لو يستطيع اجبارها على الكلام . لكنه يعرف ان آخر شيء يمكن عمله هو اجبارها على الكلام لذا راح يكلمها بطريقة ودية :

— حسنا ، حسنا ، ماذا عن جو ؟

ولانت جاني ، لم تكن تستطيع ان تحتفظ بالاخبار لنفسها ، فقالت وهي تشير الى يمينها :

— انه هناك في اسفل المنحدر ، وهو يحمل بندقية أيضا .

صرخ فريد : بندقية !

لماذا يخرج جو باتشز الى الجبل وهو يحمل بندقية ؟

قال هانك وقد بدا عمليا جدا :

— يستحسن ان نذهب لنرى الامر . هيا بنا !

وامسك الاثنان بجاني بينهما بقوة واسرعا بها نازلين المنحدر، وقد استاءت جاني من هذه المعاملة السيئة فقالت لهما بقوة وثقة (انتما لا تملكان الجبل كله) وحينما صار السد قريبا دفعها فريد باتجاه البيت قالت (لاتستطيع اجباري على الذهاب الى البيت) .

قال فريد : لا تزعجينا !

سألت جاني :

— من رأى جو أولا ؟ اذا لم تدعني أذهب معكما فسوف أخبر

ماما انك تريد القيام بعمل خطير ولن تدعك تقضي الليلة هنا .

كزّ فريد على اسنانه . لو ان أمه شكّت فقط أنه وهانك يعملان كمساعدين لحارس الغابة فسوف تحاول منع ذلك . ان والده لا يمانع ولكنه لن يقف الى جانبه اذا اصرت أمه على منعه . ونظر غاضبا الى جاني . ليس في اليد حيلة . لابد من السماح لها بالمجيء معهما .

قال بكدر : موافق ولكن يجب ان تذهبي الى البيت حالما نجد جو . وركض الثلاثة عبر حافة البركة ودخلوا الغابة في المكان الذي قالت جاني انها رأت جو فيه آخر مرة . كانت الاشجار في ذلك المكان قليلـة ، بضـع صنوبرات متناثرة تنمو بين كتل من الادغال المتشابكة . وسارت المجموعة خلال الشجيرات الكثيفة بكثير من الضوء وقليل من التقدم . وقالت جاني :

— يالكم من صيادين . ان صوت تقدمكم يسمع من مسافة ميل .

رد عليها فريد وهو يمسح وجهه بكلتا يديه حيث صفعه احد الاغصان :

— تكلمي عن نفسك .

وانطلق صوت هانك حادا :

— سكوت ! أنصتوا !

تجمد فريد وجاني وانتبها . من مكان ما تحتهم تماما سمع صوت أنين ضعيف . كان يبدو صوت حيوانٍ يصرخ بألم . اندفع فريد الى الامام لكنه تراجع بشكل مفاجيء حين دوى فوقهم طلق

ناري . لعلع صوت الانفجار كناقوس هائل . رمق فريد صديقه هانك متسائلا ان كان هو أيضا قد عرف ان جو باتشز هو الذي أطلق النار . وصاح فريد دون ان يدري : جو !

ـ اخرجوا من بين هذه الادغال وتعالوا ساعدوني .

كان ذلك صوت جو باتشز وقد بدا طبيعيا وغير مبالٍ كما هو دائما . اندفع فريد فورا ودفع ستار الادغال الذي امامه الى جانب وهناك أمامه تماما كانت فسحة صغيرة خاليـة من الادغال مغطاة بابر الصنوبر . ورأى فريد جو واقفا هناك وبندقيته في يده كما رأى شيئا ما مطروحا عند قدمي جو . بلع فريد ريقه بصعوبة ونظر مرة اخرى . لم يكن هناك شك في الامر . انه خشف أيل فوق فراش من ابر الصنوبر .

ـ أنت .. أنت ..

ولم يستطع فريد ان يكمل كلامه . لم يستطع ان يجد كلمات يقولها لجو ليعبر عن رأيه فيه . ووقف جو وقبعتـه على مؤخرة رأسه وفكاه يتحركان باستمرار وهو يمضغ تبغه . لم يكن يبدو عليه أنه يلقي بالا الى مافعله . أما هانك فقد سأل بصوت غاضب:

ـ لماذا فعلت ذلك ؟

وبدأت جاني تبكي وقالت وهي تهتز :

ـ أنت ... أنت قتلته ، الحيوان الصغير المسكين .

نقل جو تبغه في فمه من جهـة الى أخـرى ثم اشار باصبعه الطويل الى الخشف وقال :

ــ قبل ان تنعتوني بأسوأ الصفات ألقوا نظرة هناك .

خطا فريد خطوة بطيئة الى الامام وألقى نظرة الى الخشف الميت . وباقترابه ذاك لاحظ الخط الرفيع لجرح عميق سببه سلك في قائمة الايل الامامية اليمنى . وكانت كتلة من الدم قد تخثرت فوق الكاحل المتورم تدل على ان السلك قد بقي هناك لفترة من الزمن . اقترب هانك ليطل من فوق كتف فريد وقال :

ــ انها أحبولة ، شخص ما نصب شركا ، وهذا ضد القانون .

قال جو :

ــ بينما أنتم تبربرون بأن ذلك ضد القانون ،جئت أنا وسمعت الحيوان المسكين يئن ويتوجع ووجدته مطروحا هنا ورأفةً به وضعت حدا لعذابه . عمل انساني ، هذا كل ما في الامر .

شعر فريد بتشنج مؤلم في مكان ما بداخله :

ــ ما .. ماذا ستفعل به ؟

لم يعد قادرا على النظر الى الجسد الميت المطروح أمامه فراح ينظر بدلا من ذلك الى وجه جو الشائك . ورد جو :

ــ آخذه الى البيت .

وانحنى على الجثة ليرخي الحبل ثم رفع الجثة فوق كتفيه العريضين . وسأل هانك بينما كانت المجموعة تتبع جو تاركة الفسحة :

ــ من وضع الاحبولة ؟

ــ ومن الذي كان يطلق النار ويضيء مصابيح الصيد خلال

الايام الماضية ؟ أعثر عليه وستعرف من وضع تلك الاحبولة.
لقد خرجت هذا اليوم لانظر في أمر المتسللين ومررت بهذا المكان عن طريق الصدفة .

تساءل فريد مع نفسه كم كانت صدفة غريبة ان يعثر جو على الخشف الذي أمسكت به الاحبولة . ربما نصب جو ذلك الفخ . لكن فريد لم يستطع ان يجزم بذلك . عليه ان يناقش ذلك مع هانك حين ينفردان .

كانت الشمس فوق قمة جبل الايائل حين وصلوا الى السد. وتذكر فريد فجأة انه لم يتناول غداءه بعد . كان ماحدث مؤخرا قد أنساه الطعام . والآن صار الوقت عصرا ويجب ان يعود الى الكوخ مع هانك لينصبا موقدا ويطبخا طعام العشاء . نظر الى خيوط الضوء الطويلة الحمراء والذهبية التي تنعكس على سطح البركة . هب نسيم فرسم تموجات صغيرة على وجه الماء وعبر متنهدا خلال أعشاب البردي القريبة من السد .

قالت جاني فجأة :

— بررر ... لن أقضي الليلة هنا في العراء بلا سبب ، هل ستفعلون ذلك حقا ؟

كانت كلمات جاني تعبر أفضل تعبير عما كان فريد يفكر به حتى أنه تساءل ان كانت قد قرأت أفكاره.

وقهقه جو باتشز :

— بعض الناس لا يعرفون مايفيدهم مما يضرهم . عليّ ان أذهب الآن . خذوا حذركم وتجنبوا المتسللين .

وعبر السد بخطوات واسعة واختفى في عتمة المساء . نظر فريد الى هانك . لابد مما ليس منه بد ، حتى لو كانا يرغبان في العودة الى البيت . وأجبر على التفكير بشيء آخر غير الخشف الميت ومن يكون قد نصب الاحبولة . وفجأة قال لجاني :

— يحسن بك ان تعودي الى البيت . لدينا اشياء نناقشها فيما بيننا .

قال هانك الذي بقي ينظر باتجاه البقعة التي اختفى فيها جو:

— لدينا الشيء الكثير .

وعرف فريد ان تساؤلات هانك هي تساؤلاته ذاتها . هل نصب جو ذلك الفخ ؟ هل كان هو الذي يخالف قوانين الصيد ؟ وقال فريد وقد نسي وجود جاني -

— انه يتصرف بطريقة غريبة جدا .

ولاحظ ان جاني كانت تصغي بانتباه فقال لها بحدة :

— اذهبي أنت الى البيت .

قالت جاني محتجة :

— انتم فقط لا تريدون ان أعرف ما تتكلمون عنه ، انه شيء ما عن المتسللين وكلما ... من ذاك ؟

وكان صوتها قد تحول الى همس . وقفز فريد . لم يستطع

تحمل ذلك . لقد صارت مزعجة جدا . ثم رأى أنها كانت تشير الى قمة جبل الايائل . واستدار هو وهانك في لحظة واحدة لينظرا في اتجاه اشارة اصبعها .

وهناك قرب قمة الجبل ، كان رجل طويل نحيل يقف فوق نتوء صخري . كان شكله واضحا ومن خلفه السماء الزرقاء . وفي اللحظة التي حدقا فيها اليه ، اختفى بصورة مفاجئة . كان يبدو كأنه تبخر في أضواء الغروب الحمراء الذهبية .

الليــل فــوق جبــل الايائــل

— أنا ذاهبة الى البيت •

كانت جاني هي التي تكلمت أولا • وقد قالت ما كان في ذهنهم جميعا • الشكل النحيل الغامض جعل فريد يحس من جديد ان جبل الايائل لم يكن مكانا مريحا لقضاء الليل • ونظر الى هانك •

كان هانك ينقر باحدى قدميه حافة السد وكان فمه مطبقا باحكام • ولم يتكلم أي منهم • كان كل منهم ينتظر ليرى ان كان الآخر سيعطي أية اشارة الى أنه سيكون من الافضل ، بعد كل شيء - قضاء الليل في البيت • وأخيرا قالت جاني :

— أراهن ان ذلك الرجل النحيف هو الشخص ذاته الذي رأيته في ذلك اليوم الذي علقت فيه قدمي بالصخرة •

قوس فريد كتفيه ودس كفيه في جيوبه • مرت بباله الافكار ذاتها • تذكر كم هي دافئة وحميمة غرفة المعيشة العائلية في المساء • كانت جاني قد قطعت نصف الطريق فوق السد • استدارت وصاحت :

— أراهن أنكما خائفان ، هل ستأتيان الى البيت ؟

وبدا أنها تتوقع منهما ان يتبعاها . سحب فريد نفسا عميقا . لا سبيل للخلاص الآن . وقال بصوت مرتفع :

— كلا ! أفضل لك ان تسرعي فالظلام بدأ ينتشر .

نظر هانك الى فريد وهز رأسه دون ان يقول شيئا . وأحس فريد احساسا غامضا بالرضا . لقد استحسن هانك ما قاله لجاني وقد أسعده ان يعرف ذلك .

راح الاثنان يراقبان شكل جاني الصغير النحيل وهو يقطع المنحدر المعشب متجها الى القرية ، وقاوم فريد رغبة داخلية جارفة في ان يكون معها . ماحصل حصل وسوف يقضي هو وهانك ليلتهما فوق جبل الايائل .

قال هانك بينما كان الولدان يستديران باتجاه الجبل :

— على أية حال ، السيد ترايمور في مكان ما قريبا منا .

كافأه فريد على قوله هذا بنظرة شاكرة . لماذا لم يتذكر هو الحضور المطمئن لمراقب غابات الولاية ؟ لقد غير ذلك كل شيء . وتبع فريد صديقه نحو الجرف الصخري وهو يكاد يقفز . وسلكا الممر المعهود نحو فسحتهما وهما يتحركان بسرعة . وقال هانك حين أمسى كوخهما على مرمى النظر :

— لحسن الحظ لم ننسى جلب المصابيح اليدوية . سيحل الظلام قريبا .

أما فريد الذي وجد الظلام في الفسحة اشد حلكة مما يحتمل، فقد اقترح:

— لنبدأ باشعال النار ، سأقوم بتهيئة الموقد من هذه الاحجار الكبيرة وانت تحضر شيئا من الحطب .

عمل فريد بسرعة ، فرتب ثلاثة أحجار في مثلث غير منتظم . كلما أسرعا باشعال النار كلما قلت فرصة اقتراب حيوان منهما . وبينما كان هو وهانك يكسران الاعواد لاستعمالها في ايقاد النار تذكر مرة او مرتين قرون الايل العظيمـــة ، لكنه أبعد الفكرة عن ذهنه بصعوبة وقال لنفسه ان السيد ترايمور سيمنع ذلك الايل من ايذائهما على أية حال . وسأل هانك فجأة :

— أتظن ان جو هو الذي نصب الفخ ؟

كانت النار قد اشتعلت جيدا الآن ، وفي الاضـــواء الخافقة الساطعة لاحظ فريد ان هانك كان ينظر اليه وكأنه يريد الاطمئنان. كان كلاهمـــا يحب جو وكان من الصعب ان يشكا بأنـــه يخالف القانون . حاول فريد ان يفكر في تبريرات تعطي تفسيرا معقولا لوجود جو فوق جبل الايائل حاملا البندقية . جلس وراح يراقب هانك الذي كان يضع شرائـــح اللحم المقدد في المقلاة في خطوط مستقيمة . وقال فجأة :

— ربما أخافه ذلك الكتاب الذي بعثه قسم الغابات • ربما فكر بأنه يجب ان يتصرف بما يوحي بأنه يقوم بعمل ما فميا يخص المتسللين قبل ان يصل مراقب الغابات • انه لا يعلم ان السيد ترايمور هنا •

رمق هانك فريد بنظرة من خلال الدخان • بدا عليه الارتياح وقال :

— قد يكون ذلك صحيحا • لقد كان الخشف هناك لمدة طويلة، كان ذلك واضحا من التورم في ساقه •

فكر فريد بشيء آخر وسرت في جسده رعدة خفيفة :

— ربما ذلك الحشف هو الخشف الثاني للايل الذكر الذي رأيناه • وتحرك مقتربا من النار • اذا كانت لدى الايل روح الانتقام كما تصوروا فانه ربما يعتقد أنهما قتلا خشفه الثاني • ونظر فريد خلفه بسرعة ، ولكن كان واضحا ان هانك لم يسمع كلمات فريد الاخيرة ، كان مشغولا بتقطيع البطاطس ووضعها في المقلاة ولم يكن يفكر بأي شيء آخر • وقال فريد بصوت مرتفع يكفي لبعث الثقة في نفسه :

— على أية حال ، عندما نرى السيد ترايمور مرة اخرى نستطيع اخباره بذلك •

— اخباره بماذا ؟

بدا كأن صوت السيد ترايمور العميق يخرج من الارض

تحتهم • هب الولدان واقفين وكأنهما سحبا الى الاعلى بحبل رافعة • راحا يحدقان في الظلام خارج حلقة الضوء المنبعث من النار المشتعلة لكنهما لم يريا ما يدل على وجود زائرهما •

— أين •• أين أنت ؟

لم يحب فريد الطريقة التي كان صوته يتهدج بها ، لكنه لم يكن يستطيع ابقاءه ثابتا •

— أنا هنا •

وتقدم السيد ترايمور من وراء الكوخ • وأطل هيكله الثقيل فوقهما تحت ضوء النار الراعش • وفكر فريد فجأة أنه اكبر مما يتذكره ، ضعف حجم رجل اعتيادي تقريبا • وقال فريد مرتجفا:

— ياللهول ! لقد أرعبتنا • كيف وصلت هنا دون ان نسمعك ؟

رد السيد ترايمور بمرح :

— لم أقض السنين في الغابات عبثا • سير الهنود هو أول شيء نتعلمه نحن حراس الغابات • وبالمناسبة ، لن تستطيعا امساك الكثير من المتسللين بطريقتكما في التحرك فوق الجبل • لقد عرفت بقدومكما من عدة أميال •

عدل فريد جلسته بانزعاج • كان يعرف ان السيد ترايمور على حق لكنه لم يكن يحب ان يسمع ذلك • وتساءل مع نفسه أي قدر من محادثتهما حول جو قد وصل الى اسماع السيد ترايمور • ولم ينتظر طويلا ليعرف ذلك فقد قال السيد ترايمور وهو يتقدم نحو النار :

ـــ سمعتكما تبحثان أمر حارس الغابات المحلي • أتمانعان في ان أجلس ؟

راقب فريد ضيفهما وهو يجلس مصالبا ساقيه قرب النار • كان يتحرك بسرعة ورشاقة مدهشتين بالنسبة لشخص في مثل ثقله كان من الصعب تذكر ما قاله هو وهانك عن جو بالضبط ، لكنه أمل انه لم يكن كافيا لجعل السيد ترايمور يعتقد ان جو يخالف القانون • وقال فريد فجأة :

ـــ جو انسان جيد •

ـــ لكنه قتل أيلا •• إه ؟

بدا السيد ترايمور ودودا كعادته لكن نغمة كلماته كان يفهم منها أنه ينتظر جوابا • ورد فريد :

ـــ كان الخشف قد وقع في فخ ، وقد اطلق جو عليه الرصاص رأفة به •

تمنى ان يكون قد قال الحقيقة • وحدق السيد ترايمور ليرى ان كان يبدو مقتنعا بكلامه • كان السيد ترايمور ينظر الى النار وعيناه نصف مغمضتين • خلفه كانت ظلال الليل الهائلة وظلمة الجبال الثقيلة وفجأة أدرك فريد مدى الارتياح الذي يبعثه وجود السيد ترايمور معهما • كان وجوده يجعل الغابة مكانا أليفا ، النار اكثر دفئا ورائحة اللحم المقدد المقلي الشهية تبعث في النفس شعورا بيتيا •

ـــ ماذا فعل بالخشف الميت ؟

قفز فريد • سؤال السيد ترايمور المفاجيء جعله يدرك مرة اخرى ان الزائر ليس ضيفا لطيف المعشر فقط وانما مراقب غابات لديه مهمة يقوم بها • وقال هانك قبل ان يعود فريد الى نفسه :

ـــ أخذه الى البيت •

لم يقل السيد ترايمور شيئا للحظات • ثم نفض رأسه كمن يطرد فكرة مزعجة وقال :

ـــ كثير جدا بالنسبة لجو • انه يقوم بعمله على الاقل • ألديك اخبار اخرى ؟

وحول نظره من هانك الى فريد بسرعة • كان فريد مرتاحا جدا لتمكنهما من اقنــاع السيد ترايمور بحسن مقاصد جو فلم يحاول الرد على هذا السؤال الاخير • كان هانك هو الذي رد وهو يظهر عدم المبالاة بشكل مدروس :

ـــ لقد رأينا أحد المتسللين •

وصاح السيد ترايمور بصوت يشبه العواء : ماذا !؟

اهتزت يـد هانك وسقط بعض الزيت من المقلاة في النار مرسلا لهبا قويا في ظلام الليل الدامس • وصاح فريد وهو يتراجع متجنبا الوهج المفاجيء :

ـــ انتبه لما تفعل • ستفسد الطعام •

غمغم هانك معتذرا وحصر انتباهه في الطبخ مرة اخرى •
وقال السيد ترايمور :

ـــ ماذا بشأن المتسلل ؟ لكم واحدة عليّ اذا كنتم قد رأيتموه فعلا • أنا الذي أفخر دوما بعيني الثاقبتي النظر •

وضحك ، لكن صوته لم يكن مريحا كما كان من قبل• وبينما كان فريد يصغي لهانك وهو يتحدث عن كيفية رؤيتهم للرجل النحيف كان متأكدا ان السيد ترايمور كان منزعجا لان اثنين من الهواة شاهدا الرجل أولا • وملأه شعور بالفخر • كان شيئا عظيما ان يلاحظ متسللا قبل ان يراه حارس غابة متمرس • وحينما انتهى هانك من حديثه سأل السيد ترايمور :

ـــ اعتقد انكم لم تستطيعوا مشاهدة وجهه •

صف رجليه سوية ولف ذراعيه حول ركبتيه • ولاحظ فريد ان السيد ترايمور قد بدل جزمته الثقيلة بزوج من الاحذية المطاطية الخفيفة • وفكر فجأة (لا عجب انه يبدي الملاحظات عن الضجة التي نعملها في الغابة ، أي شخص يستطيع السير دون صوت بهذه الاحذية الخفيفة) • كان السيد ترايمور يتابع نظرات فريد ، وضحك بطريقته الودية المألوفة قائلا :

ـــ رأى أنك لاحظت أحذيتي المفضلة • تلك الجزمة ثقيلة •

نهض وتراجع مبتعدا عن النار مستندا الى جدار الكوخ • وبعد دقائق من الصمت قال :

ـــ كنتما تتحدثان عن المتسلل • حسنا استمرا ، تناولا طعامكما وانتما تتحدثان •

ولكن ، لم يستطع فريد او هانك اعطاء أية معلومات حقيقية عن الرجل النحيف • كان من المستحيل اعطاء وصف لوجهه او ملابسه كما تمنى السيد ترايمور • وقال السيد ترايمور أخيرا

ـــ حسنا • لا يهم ، ولكن سيكون ذا فائدة كبيرة لي ان أعرف كيف يبدو • أبقيا عيونكما مفتوحة فربما تشاهدانه مرة أخرى •

تمنى فريد ذلك • تمنى أيضا لو انهما يلتقيان بالمتسلل وجها لوجه ويمسكان به بطريقة ما من أجل السيد ترايمور • لكن مطامحه السامية هوت الى الارض مرة اخرى حين ترك السيد ترايمور مكانه وتقدم نحو النار مرة اخرى وقال بسرور :

ـــ ليلة مناسبة للمتسللين ، لا قمر في السماء والريح هادئة •

هذه النار يجب ان تبقى مشتعلة لابعاد الحيوانات الضالة •

دس يديه في جيوبه وراح يحدق في الظلام • رمى فريد قبضة من الاعواد في النار وجلس ليراقب اللهب الساطع وهو يطرد الظلال من الفسحة • اذا كانت هناك حيوانات ضالة في الجوار ، خاصة الايائل الكبيرة ذات القرون الحادة ، فان النار كفيلة بابعادها مسافة كافية •

بدأ السيد ترايمور يتمشى أمام الكوخ • كان يسير بخطوات قصيرة متوترة وبينما كان يسير لاحظ فريد أنه كان ينقل قبضة من الحصى الناعم من يدٍ الى أخرى ، وانحنى فريد على هانك وهمس :

— أراهن انه ينتظر علامة ما تدل على وجود متسلل . أنظر ... انه قلق .

وراحا يراقبان السيد ترايمور الـذي استمر بمشيته جيئة وذهابا ، وبحركة يديه راميا الحصى من يد الى يد . كان واضحا أنه يتوقع ان يحدث شيء ما في أية لحظة . ودغدغت فريد وخزات استمتاع . اذا كان حقا محظوظين فسيتاح لهما أن يشاهدا حارس غابة يمسك متسللا . وقال هانك فجأة :

— ربما يكون الايل الكبير هو الهدف المقبل للمتسلل .

توقف السيد ترايمور قليلا ونظر الى هانك . كانت عيناه تبدوان بيضاوين تقريبا في وهج النار . وسأل :

— مالذي يجعلك تفكر بذلك ؟

غير ان هانك لم يجد المجال للرد فقد توهج ضوء لفترة وجيزة من مكان ما الى يمين الجرف الصخري . ووقف السيد ترايمور جامدا لثانية من الزمن وكأنه قد تحول الى حجر . وامسك فريد بذراع هانك بصورة لا ارادية . لقد شاهد ضوءا مثل ذلك سابقا . كانا يعرفـان ماذا يعني . وبنفس محبوس انتظر فريـد اطلاقة البندقية ، لكن اية اطلاقة لم تطلق . بقيت الغابة مظلمة وساكنة كما كانت من قبل . وقال هانك بصوت أجش :

— انهم هم .

تمسك فريد بذراعه بقوة اكبر . وراح الاثنان يراقبان السيد ترايمور . كانت يداه في جيوبه من جديد وكان ينظر بتركيز بشكل

يدل على أنه يصغي وينتظر • ولـم يستطع فريد تحمل الصمت فسأل :

— هل هم المتسللون ؟ أتظن أنهم هم ؟

هز السيد ترايمور كتفيه قائلا :

— لست متأكدا ، لكنني سأعرف •

قفز فريد من مكانه :

— هل نستطيع المجيء ؟ دعنا نساعد •

نظر السيد ترايمور اليه ولم يكن التعبير المرتسم على وجهه ودودا :

— وتعرض نفسك للاصابة بطلق ناري ؟ هذا عمل رجل • ابقيا أنتما هنا •

كانت كلماته أمرا صارما ، وعرف فريد انه يعني مايقول • وقف الولدان يراقبان السيد ترايمور وهو يتحرك خارجا من دائرة الضوء سائرا بخطوات سريعة صامتة باتجاه المكان الذي توهج فيه الضوء • وفي اللحظة التالية كان قد اختفى • واصغيا بامعان لكنهما لم يسمعا أي صوت ، في مكان ما خـارج الفسـحة كان السيد ترايمور يسلك طريقه خفيفا ، سريعا ، لا يسمع صوت لحركته •

سحب فريد نفسا طويلا مرتجفا • كان نصف مسرور لانه بقي في مكانه المريح قرب النار ونصف آسف لانه لم يكن مع السيد ترايمور • وبدأ يقول (هل تظن ان •••) لكنه توقف • وسأل هانك الذي كان لايزال يحدق خلف السيد ترايمور :

— بماذا تفكر ؟

— أفكر بأننا يجب ان ... أعني . اننا نستطيع الذهاب لاستطلاع الامر .

وفي اللحظة التي تكلم فيها فريد تمنى لو انه لم يفعل . لقد كان يصبو الى الامساك بمتسلل وهو متلبس بجريمته ، لكن الليلة كانت حالكة الظلام .

قال هانك وكأنه يفكر بصوت عال :

— جاء الضوء من الفسحة التي وجدنا فيها الخشف ، نستطيع معرفة طريقنا هناك بشكل جيد .

قال فريد :

— السيد ترايمور قال اننا يجب ان نبقى هنا .

كان يعرف ان هانك يريد اللحاق بحارس الغابة . وبشكل ما كان هو يريد ذلك أيضا . وقال هانك متحدثا بصوت مرتفع وبطريقة تدل على انه كان يهدف الى اقناع نفسه بصحة كلامه :

— انه لا يملك هذه الغابات ، ونحن لدينا مصابيح يدوية ايضا ليس في اليد حيلة الآن . أمسك فريد بمصباحه اليدوي وتبع هانك مبتعدا عن ضوء النار المطمئن . وكان ممر ضيق ينزل من فسحتهما عبر الجهةالمنحدرةمن الجبل الى المكانالذي كان جو قد قتل فيه الخشف . وبعد بضعة دقائق من التخبط في الظلام قال هانك :

— تمسّك بحزامي . استطيع تلمس الممر بقدمي .

أحكم فريد قبضته على حزام هانك وتقدم متعثرا . كانت

أغصان الاشجار وأجمات الغار تعيق سيرهمـا وتعلق بملابسهما وكان فريد واثقا تماما ان صوت تقدمهما يسمع من اميال . وهمس لهانك :

ــ على مهلك .

غمغم هانـك برد مقتضب . كان تحسسه للطريق في الظلام الثقيل لا يترك له مجالا للكلام . كان يتوقف كل بضع خطوات وكان الولدان يصغيان بانتبـاه تام . ولم يسمعا شيئا غير حفيف الصنوبر الناعم في الاعالي .

اصطدمت قدم هانك بجذع شجرة ودمدم من بين اسنانه . واصطدم به فريد الذي كان خلفه تماما وهمس بحدة : ماهذا ؟

قال هانك بنعومة :

ــ جذع شجرة . أتتذكر الجذع الذي عند حافة الفسحة ؟ انه هو . مد فريد يديه وراح يتحسس النهايات الخشنة للجذع:

ــ انه هو بالتأكيد . ما رأيك في الانتظار هنا ؟

لم يكن هناك أية فائدة من التقدم اكثر . اذا حدث شيء فهذا هو أفضل مكان لرؤية ما يحدث . جلس فريد فوق الجذع وانضم اليه هانك . جلسا هناك ساكنين تماما ... وانتظرا .

اعتادت عيناهما على الظلام واستطاع فريد ان يميز شكل الاشجار ومن خلفها السماء المعتمة . واستطاع ايضا رؤية بعض الصخور والادغال القريبة . وبدا له ان في الفسحة اشكالا وظلالا اكثر مما يتذكر عنها . ماذا لو ان تلك الاشياء السوداء المتموجة التي يعتقد انها اشجار . ماذا لو كانت بشرا في الحقيقة ؟

وسأله هانك هامسا : لماذا ترتعد ؟

ورد فريد هامسا ايضا : لست كذلك •

ثم لكز هانك قائلا :

ـ اترى تلك الشجرة هناك ؟ انها تبدو كرجل تماما •

وكان صوته غير مسموع تقريبا • ان فكـرة احتمال كون الشجرة رجلا جعلت فريد يتوق الى شيء آخر غير الجلوس ساكنا• راح يتحسس بيده جذع الشـجرة المقطوعة بتوتر • كان الجذع مغطى باشياء صغيرة صلبة أمسك بها باحكام بين اصابعه • وتمنى لو ان يديه لا ترتجفان هكذا • ربما سيلاحظ هانك ذلك ويسخر منه • ودس يديه في جيوبه عميقا • ومرة أخرى جلسا وانتظرا • كانت الفسحة خالية من أي جيوب او حركة • وقال هانك اخيرا :

ـ اننا نضيع الوقت •

وبدا كأن كلماته هـذه هي الاشـارة ببدء الحركة • غمر الفسحة توهج ضوء باهر • وهناك على بعد لا يزيد على عشرين قدما منهما كان الايل الكبير واقفا كممثل على خشبة المسرح • كان رأسه ذو القرون الحادة مرتفعا وكانت عيناه تحدقان الى الضوء الباهر •

شهق فريد ، وكان صوت شهقته هو الصوت الوحيد الذي كسر السكون كمنشار يسحب فوق خشـبة • وشعر بيد هانك تقبض على ساقه • في الثانية المقبلة سيدوي الطلق الناري وارتفع صوت هانك مرتجفا :

ـ ماذا .. ماذا ...

لكن فريد لم يضيع الوقت في اخباره بما يفعل . يده اليمنى ذهبت الى الخلف وبكل قوته رمى مصباحه اليدوي نحو الايل . ورآه يصيب الايل في جنبه . ثم رأى الايل يقفز في الهواء في اللحظة التي دوى فيها صوت الطلق الناري . وفي الحال أختفى الضوء .

سمع صوت اصطدام جسم ثقيل بين الادغال ، صرخة ، ثم دربكة أقدام راكضة . كل ذلك أحال الفسحة الساكنة الى مهرجان صاخب . وجلس فريد وهانك جنبا الى جنب فوق الجذع وكأنهما مزروعان هناك .

بعد ذلك خيم فوقهما هيكل أسود ، شكل طويل نحيف .

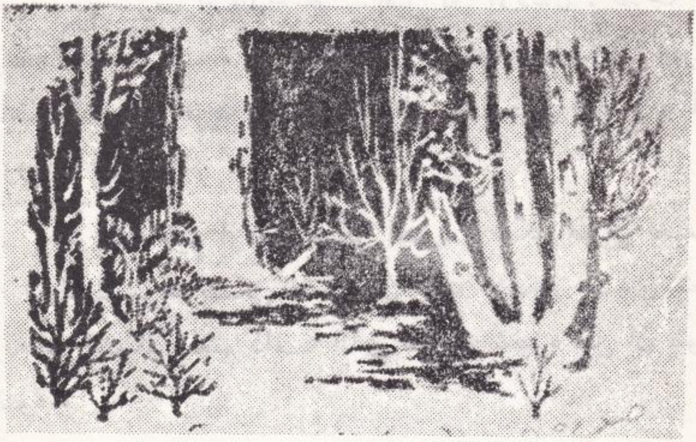
وادرك فريد بشكل غامض ان ذلك الشكل الذي ينحني فوقه هو الشكل المعتم ذاته الذي ظن انه شجرة قبل ان يتوهج الضوء .

وسمع صوت يقول : لا تتحرك !

كان الصوت عميقا هادئا . كان صوتا لم يسمعه من قبل .

ملح الصخور

لم يكن فريد يستطيع التحرك حتى لو اراد ذلك ، وهو لم يكن يريد . ومن جانبه شعر بذراع هانك الصلبة تضغط على ذراعه . وكان الظل القاتم للرجل الذي ظنه شجرة مايزال يلوح



فوقهما . غصة حادة ألمت بحنجرة فريد وجعلته يشعر بحاجة الى ان يسعل ، لكن اي صوت كان مستحيلا . وشرق بعد ذلك وكان الصوت واضحا جدا في الظلام الساكن .

في اللحظة التالية التمع ضوء باهر فوقهم . واستمر لثانية واحدة فقط . وبعد ذلك خيم الظلام ، ووصل الى اسماعهم صوت خافت لخطوات وكأن شخصا كان يركض بخفة فوق ابر الصنوبر .

وأخيرا سمع فريد صوت هانك يزمر . كان يبدو كأنه حبس أنفاسه مدة طويلة . وكسر صوتـه الخافت التوتر المخيم عليهما واستطاع فريد ان يتحرك ويتكلم من جديد :

ـ من كان ذاك ؟

كان صوته همسا خافتا جدا . ورد عليـه هانك الذي بدا مذهولا وتكلم بصوت مرتفع اكثر من صوت فريد :

ـ من كان ماذا ؟

وسمعا بعد ذلك هسيسا من مكان ما بالقرب منهما :

ـ هششش !

شعر فريد فجأة كأن ضربة قوية اصابته تحت اضلاعه شعر ان انفاسه تتقطع . هناك في مكان ما في الظلام قريبـا منه يكمن الرجل الغريب الشبيه بالظل الممتد . وهو من المتسللين . كانت الفكرة اكثر مما يحتمل . قفز واقفا ساحبا هانك معه ، وبغريزة عمياء انطلق الاثنـان يجريان صاعدين الممر المنحدر نحو الكوخ دون ان يحفلا بالضجة التي يحدثانها او بمن يسمعها . اصطدما بالادغال ، وسقطا فوق الصخور . اشتبكا بالنباتات المتعرشـة وتعثرا بكل العقبات التي اعترضت طريقهما في الممر الضيق المنحدر. وكلما تكرر سقوطهما كلما ازدادت صعوبة الركض عندما ينهضان مرة اخرى . كان الرعب الخالص هو الذي يسوقهما باستمرار .

لم يخففا سرعتهما في الجري الا حينما بدا لهما توهج النار الخابية من بين الاشجار . كان فريد أمام هانك وحين توقف بصورة

مفاجئة اصطدم به هانك فصاح (انتبه) ثم التقط أنفاسه وسعل . وكان واضحا ان الضوء الضعيف الذي ترسله النار الخامدة كان له من التاثير المطمئن على هانك مثل ماله على فريد .

سار الصبيان بلا مبالاة مصطنعة باتجاه النار . التقط فريد حزمة من الاعواد والقى بها فوق الجمر الذي كاد يخمد . وشغل هانك نفسه برفع بقايا العشاء . لم ينظر أي منهما الى الآخر كما لم يفه أي منهما بكلمة عن رحلة الهرب الخطيرة الحمقاء فوق سفح الجبل .

كان فريد يعرف انه هو الذي بدأها . كانت قفزته المتهورة من فوق الجذع هي التي أرعبتهما ، لكنه لم يكن يحب ان يتكلم عن ذلك . اذا كان الغريب ذو الصوت العميق الهادىء من المتسللين فلابد أنه ـ كما يعتقد فريد بثقة ـ يعرف بالتأكيد الى أين اتجها ولماذا . وربما يضحك منهما الآن ملء فيه بعد ان أرعبهما بتلك السهولة . وكز فريد على اسنانه غيظا .

واخيرا جلس هانك قرب النار وراح يحدق الى اللهيب . وجلس فريد قبالته . وبقيت عيونهما جامدة تنظر الى الاعواد المشتعلة . تمنى فريد لو يستطيع ان يجد شيئا يقوله ، شيئا لاعلاقة له بالمتسللين او بالذين تراكضوا أمامهما قبل قليل . وتنحنح بصوت عال قبل ان يقول :

ـ لقد تخلص الايل على أية حال .

قال هانك :

— بيه ، رميتك تلك كانت موفقة . أصابته في فخذه تماما .

وشعر فريد بومضة صغيرة من الدفء باستعادة الثقة بالنفس لقد اقتنع هانك على الاقل بأنه أظهر قدرة جيدة على التصرف التلقائي الصائب حين رمى المصباح اليدوي نحو الايل . بدأ فريد يشعر بارتياح ورضى عن النفس وقال :

— أين السيد ترايمور ياترى ؟

رد هانك :

— لندع جانبا التفكير به او بأي شخص آخر هذه الليلة . لن نصل الى شيء في سعينا لامساك المتسللين . يحسن بنا ان نذهب الى الفراش .

نهض من مكانه وتوجه الى الكوخ . وسار فريد في أثره . حاول ان يبعد عن ذهنه التفكير بفراشه في البيت . بعد تلك الركضة الهاربة من الفسحة صار ميالا بصورة خاصة الى التظاهر بأن تلك الليلة لم تكن تحمل لهما أي احساس بالرعب . وقال هانك وهو يشعل شمعة :

ولم يجادل فريد . كان يتفق مع هانك تماما في ان وضع بطانية فوق فرجة الباب كان شيئا ضروريا جدا . وقال وهو يعلق احدى البطانيات فوق المنطقة المفتوحة :

— ستحافظ على الدفء في الداخل .

ارتجفت الاشعة الخافتة التي ترسلها الشمعة فوق الجدران .

لف فريد نفسه ببطانية وراح يرقب الظلال المتراقصة دون توقف فوق الجدران . أشكال غريبة عجيبـــة تتكون في الزوايا . ومرة أخرى سرحت به افكاره الى غرفته في البيت . وطرد الفكرة من رأسه باصرار . وقال لهانك الذي كان يستلقي الى جانبـه ملتفا ببطانيته كالشرنقة :

— هل ستطفيء الشمعة ؟

غمغم هانك : أنت أقرب .

كان ذلك صحيحا . انتظر فريد ثانية ، ثم أخمد اللهب الواهي بضربة واحدة سريعة . وخيـم الظلام التام في الكوخ . استلقى فريد مرة اخرى باحتراس . لم يكن يريد هانـك ان يحس بأنه لا يرتاح في الكوخ ليلا . كان هانك يتنفس بانتظام . ربما يكون نائما .

كان فريد متأكدا انه لن يستطيع النوم ولن يغمض له جفن . ولم يكن يملك غير الاستلقاء في مكانه والاصغاء الى اصوات الليل المبهمة الغريبة من حوله . ومهما حدث لن يبدي لهانك أنه ... حسنا ، ماذا به ؟ طرف جفناه . أطبقت عيناه . ثم غط في سبات عميق .

حين استيقظ من نومه كان الوقت نهارا . كانت حزمة من أشعة الشمس تتسلل من فتحة الباب وتسقط فوق وجهه . نهض فريد . عطس بشدة وفرك عينيه . لا يمكن ان يكون الصباح قد أشرق ، لا يمكن ان تكون مخاوف الليل الغامضة قد مرت بتلك السرعة . وسأله هانك :

— أنت جيدا ؟

رآه فريد ينحني فوق بقايا النار الخامدة ، وبدا له كما هو في العادة ، طبيعيا بارد الاعصاب . وادرك فريد ان كل شيء على مايرام . مر الليل فعلا ولم يحدث شيء . تمطى وركل بطانيته بعيدا وقال :

— ياه .. انه يوم لطيف .

كانت أشعة الشمس الغامرة والنسيم الهادىء الذي يداعب أغصان الصنوبر تجعل من الصعب التصور ان انسانا يمكن ان يرتعب من شيء ما في الغابة . لابد ان ليلة الامس كانت كابوسا سخيفا .

سأل هانك : ماذا بشأن الافطار ؟

على الرغم من ان الافطار كان طعام العشاء لليلة السابقة نفسه الا ان الولدين أكلا اللحم المقدد والبطاطس بشهية كبيرة . لم يتحدثا كثيرا حتى اختفت آخر قطع الطعام . ان مطاردة المتسللين — ولا تقل شيئا عن الهرب منهم — عمل يسبب الجوع . وسأل فريد :

— والآن ماذا نفعل ؟ ربما نستطيع — أعني ، لقد تركت مصباحي اليدوي هناك في الفسحة ويستحسن أن استعيده .

هز هانك رأسه ببطء . وعرف فريد ان هانك أدرك انه يريد العودة الى الفسحة . لا يستطيع أي شيء ان يسبب لهما أذىً في ضوء النهار كما ان فريد كان متلهفا لاستكشاف مسرح مغامرة الليلة الماضية . وقال هانك فجأة :

ــ يستحسن ان نذهب من طريق مختلف .

ــ ماذا تعني ؟

كان فريد متحيرا . هل كان هانك يعتقد ان المتسللين لا يزالون يتسكعون قرب الفسحة . وكانت كلمات هانك التالية تؤيد ذلك الاعتقاد :

ــ يبدو لي أننا استعرضنا انفسنا في هذا المكان كثيرا جدا ، لنتسلل الى المكان ونرى ان كنا سنجد شيئا ما .

قال فريد :

ــ ربما ينبغي أن نبقى هنا فقد يأتي السيد ترايمور ، نستطيع اخباره أننا شاهدنا المتسلل مرة اخرى . لقد سمعناه على الاقل . أراهن أنه الشخص النحيف ذاته الذي شاهدناه فوق الجبل .

قال هانك :

ــ لا نستطيع التأكد من ذلك . ربما سنراه في الفسحة وحينذاك يكون لدينا فعلا ما نقوله للسيد ترايمور .

لم يكن فريد واثقا من رغبته في لقاء الرجل النحيف ذي الصوت العميق . وكان على وشك ان يصرح بذلك حين أدرك ان الرجل الغريب ــ حتى لو كان متسللا ــ لا يستطيع ايذاءهما بشيء . وقال فريد لنفسه انهما ــ اذا كانا يريدان مساعدة السيد ترايمور ــ يجب ان يفعلا شيئا غير البقاء في الكوخ . وقال باختصار :

— هيا بنا •

سلك الولدان طريقا يدور حول سفح الجبل ويمر قريبا من السد اذا اقتربا من الفسحة من هذا الاتجاه فانهما يتجنبان المخاطرة باحداث الضوضاء التي يحدثانها عادة حين يجتازان منطقة الادغال عند قاعدة المنحدر •

حين وصلا الى قمة الجرف الصخري أشار هانك على فريد بأن يسير بحذر اكثر قائلا :

— يجب ان نحترس من الآن فصاعدا ، وربما يستحسن ان نزحف • زعق فريد مستنكرا :

— كل المسافة الى الفسحة ؟ سوف يستغرق ذلك اليوم كله • انتظر حتى نقترب اكثر ••• هيه ، انتبه !

شد فريد ذراع هانك وجذبه الى الاسفل خلف صخرة • وبدا هانك مندهشا : ماالحكاية ؟

همس فريد :

— جاني ! انها قادمة عبر السد •

أطلق هانك زفرة طويلة :

— ظننت أنك شاهدت خمسين متسللا • وماذا لو أنها قادمة ؟

— وتدعها تفسد كل شيء ؟ اخفض رأسك حتى تختفي عن الانظار • اذا وجدت الكوخ ولم تجدنا هناك فلن تبقى طويلا •

راقبها الولدان وهي تعبر السد وتتجه نحو الجرف الصخري • ومرت بهما وهي تصفر بمرح ، ولم تكن تبعد عن مخبئهما اكثر من عشرة اقدام • لمح فريد شرائطها الحمراء عند نهايات جدائلها بينما كانت تختفي خلف بعض الادغال المتشابكة • وقال :

— انها متجهة الى الكوخ تماما •

أصغيا الى وقع خطواتها ، وحينما لم يعودا يسمعان الصوت سلكا طريقهما من جديد نحو الفسحة • ورفض فريد ان يزحف حتى وصلا الى طرف الغابة • وحينذاك تبع هانك وهو يزحف على يديه ورجليـه فوق الارض الوعرة • كان تقدمهما بطيئا متعبا • كانت اشعة الشمس تخفق بين الاشجار وكانت الاغصان تعرقل زحفهما والنباتات المتسلقة تلتف على سيقانهما • ودمدم فريد بينما كانت عليقة تحتك بذراعه بشكل مؤلم :

— أرجو ان يكون الامر مما يستحق التعب •

— هشش •

أزاح هانك كتلة متشابكة من نبات الغار ودس نفسه الى الامام • كانت الفسحة أمامهما • وكانت خالية •

قال فريد بصوت مرتفع : لقد قلت لك ذلك •

حدجه هانك بنظرة : أي متجسس أنت ؟!

قال فريد وهو يهرش ذراعه المخدشة :

— لا يهمني • أراهن ان المتجسس الحقيقي لا يدع نفسه يمتلىء بالكدمات والخدوش من أجل لا شيء •

نهض هانك واتجه الى الجذع المقطوع :

ــ حسنا ، لقد ضيعت علينا الفرصة الآن • لا فائدة من الالتزام بالهدوء بعد هذا • نستطيع ايضا ان نعود الى الكوخ •

ــ ونلتقي بجاني ؟!

تعجب فريد كيف ان هانك استطاع ان ينسى احتمال وجود جاني الآن قرب الكوخ • وقال :

ــ اعطها وقتا كافيا لتمل انتظارنا • ولكن قل لي ، أين مصباحي اليدوي ؟ انه ليس هنا •

واشار الى البقعة التي كان الايل يقف فوقها في الليلة السابقة • قال هانك : لابد ان شخصا ما أخذه •

قال فريد الذي كان لايزال غاضبا :

ــ لقد تطلب الامر الكثير من التفكير لاكتشاف ذلك •

مازالت ذراعه تؤلمه في المكان الـذي احتكت به العليقة ، والآن لقد ضاع مصباحه اليدوي • جلس فوق الجذع ودس يديه في جيوبه • لمست اصابعه شيئا صلبا مدور يبدو كالحصى الناعم • سحب فريد من جيبه الحبات الصغيرة وراح يحدق اليها :

ــ هي ! من أين حصلت على هذه ؟

وكانت في راحته كمية من حبات رماديه صغيرة •

ــ حصلت على ماذا ؟

لم يكن يبدو على هانك الاهتمام بالامر • كان يجوس دون هدف بين الادغال عند حافـة الفسحة وكأنـه يأمل ان يجد أثرا للمتسللين • وقال فريد عابسا :

ــ هذه الاحجار الصغيرة • لقد رأيتها سابقا في مكان ما •

وأخيرا تخلى هانك عن بحثه عن المتسللين واقترب من فريد ونظر الى الحبيبات :

ـ هذا ملح الصخور . من أين جئت به ؟

هز فريد كتفيه :

ـ لست ادري . كنت فقط ...

وتوقف فجأة ونظر الى سطح الجذع وصاح :

ـ هنا ، هنا تماما ، فوق هذا الجذع في الليلة الماضية . اتذكر أنني بينما كنا جالسين هنا ، وضعت يدي فوق الجذع وتحسست الحبات ولابد انني دسست بعضها في جيبي دون ان أنتبه .

تذكر فريد تلك اللحظة تماما . كيف كانت يداه ترتعشان ولم يكن يريد ان يدع هانك يلاحظ ذلك ، وكيف دسهما في جيوبه ومعها الحبيبات التي وجدها فوق الجذع . وسأل فريد بشكل مفاجيء :

ـ من يمكن ان يضع ملح الصخور فوق الجذع ؟ وما الغرض من ذلك ؟

وكجواب على سؤاله دفعه هانك دفعة مفاجئة أرسلته طائرا من فوق الجذع . استقر فريد على الارض وجلس ينظر الى هانك نظرة من يعتقد انه فقد عقله . وتأكد من ذلك تقريبا حين رأى هانك ينحني مقتربا بوجهه من سطح الجذع ، ثم يلعقه بلسانه .

ـ ما الحكاية ؟ هل أنت مجنون ؟

وراح فريد يراقب هانك متعجبا . ماالذي جعل الجذع مثيرا للاهتمام الى هذه الدرجة ؟ . وغمغم هانك :

ــ لقد كانت هنا بالفعل ، انني أحس بطعمها ، لكنها اختفت . رد فريد الذي ازداد انفعاله واستغرابه :

ــ بالطبع كانت هنا . لقد أخبرتك بذلك توا .

واستمر هانك وهو يكاد يحدث نفسه :

ــ لابد انها أزيلت هذا الصباح .

نهض فريد وانحنى فوق الجذع . رأى الشقوق والندوب في الخشب المتهريء كما رأى بعض الحشائش التي نبتت فيه . لم يكن الجذع يبدو غريبا في نظره على الاطلاق . وقال لهانك :

ــ حسنا ، قل لي ، ماالذي يثيرك ؟

بدا هانك جادا ، وجهه مشدود وفمه مطبق . وقال أخيرا :

ــ شخص ما وضع ملح الصخور هناك لاجتذاب الايائل . ذاك هو الامر . الايائل تحب الملح كالشياه تماما . جدي يقول ان المتسللين يضعون ملح الصخور احيانا في أماكن معينة ليستدرجوا الايائل اليها .

صاح فريد :

ــ ذاك اذن ماكان الايل ساعيا اليه ليلة أمس .

وجحظت عيناه حين خطرت له فكرة أخرى :

ــ ماذا .. ماذا اذا كان المتسلل قد وضع ملح الصخور فوق هذا الجذع فمن المحتمل أنه وجه المصباح الوهاج اليه تماما .

وكنا نحن جالسين في المكان الذي كان بنوي التصويب عليه.

نظر الصديقان الى بعضهما وقد أدركا للوهلة الاولى كيف أفلتا من الموت باعجوبة . وارتجف فريد فجأة . وبحركة عصبية لا ارادية راح ينقل ملح الصخور من يد الى اخرى .

— هي !!

أربكت صرخة هانك المفاجئة فريد فأسقط بعض حبات الملح.

قال هانك بصوت هدجه الانفعال :

— افعل ذلك مرة اخرى . نقل الملح بين يديك من جديد .

ارتجفت يدا فريد ، لكنه فعل ما طلبه منه هانك وهو يحدق الى يديه والى قطع ملح الصخور أثناء ذلك . وفجأة تذكر . لقد عرف أين شاهد يدين تنقلان قطعا صغيرة مثل هذه من يد الى يد. رأى النار المشتعلة وهيكلا ضخما طويلا يذرع الارض قربها جيئة وذهابا .

— السيد ترايمور !

قالها فريد هامسا ، ثم راح ينظر الى هانك . ماذا يعني كل ذلك ؟ حاول ان يرتب أفكاره المتزاحمة ، لكن دماغه رفض ان يعمل جيدا . وهز هانك رأسه . كان وجهه شاحبا . وقال بصوت هادىء :

— انه هو ، هو الذي وضع ملح الصخور هنا فوق الجذع .

سقطت ذراعا فريد الى جانبيه . تدحرجت حبات ملح الصخور بنعومة فوق حبات الصنوبر . اذا كان السيد ترايمور

هو الذي وضع الملح هنا فهذا يعني شيئا واحدا فقط . كان يريد ان يجتذب أيلا الى حيث الجذع . واذا كان الامـــر كذلـــك فان السيد ترايمور هو ...

ـــ المتسلل !!

قالها هانك بدلا منه . وبدا كأن فريد قد أخبره بما يفكر به . لقد عرفها الاثنـــان اذن . عرفا اشياء كثيرة لم يكونا يعرفانها من قبل . وكانت المعرفة طاغية جدا ، كانت أكبر من ان تؤخذ هكذا مرة واحدة . نظر احدهما الى الآخر مدة دون ان يتكلما . واخيرا قال فريد :

ـــ السيد ترايمور هو المتسلل .

وهز هانك رأسه موافقا .

ألقى فريد نظـــرة على الادغال المحيطـــة بالفسحة . بدت شجيرات الغار له فجأة غريبة غامضة . بدت الفسحة ذاتها مليئـــة بالظلال الغريبة على الرغم من نور الشمس الساطع الذي ينفذ من بين اشجار الصنوبر ويملأ المكان كله .

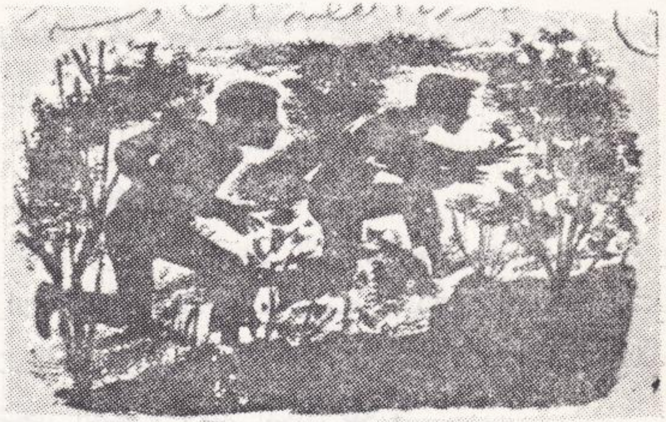
لم يقترح فريد او هانك شيئا ، لكنهما استدارا في اللحظة ذاتها نحو الممر المؤدي الى الكوخ . حاولا ألا يركضا لكنهما قطعا الممر المنحدر المتلوي بسرعة فائقة .

كان هانك يتقدم فريد عندما وصلا الى حدود فسحتهما . وتوقف هانك فجأة فاصطدم به فريد كالعادة .

كان هناك رجل ينحني فوق موضع النار ، وكان ظهره اليهما . ومن تلك المسافة لم يكن بالامكان معرفـــة ان كان زائرهما هذا جديدا عليهما او انه السيد ترايمور ذاته .

أثر الشريط

كان أول ما فكر به فريد هو التراجع للاختباء بين الاشجار قبل ان يلمحهما ذلك الزائر • فبعد الاختفـاء عن نظره يستطيع الهرب بكل قوته خوفا من لقاء آخر مع السيد ترايمور • سحب ذراع هانك وهمس :



ـ هيا بنا •

لكن هانك لم يتحرك • وقف وكأنه قد تجمد في مكانه •

ـ تعالا هنا ، كنت في انتظاركما •

كان الصوت العميق البطيء الذي سمعاه في الليلة الماضية • وقف الرجل الذي كان منحنيـا على الموقد واستدار ناحيتهما • كان الرجل الطويل النحيف الذي شاهداه فوق الجبل عند المساء• وفي الليلة الماضية شاهداه ظلا في الفسحة السفلى •

لم يحرك اي من هانك او فريد اية عضلة . راحا يراقبان الرجل بعيون جاحظة . كان الرجل يلبس سترة جلدية خضراء غامقة وبنطالا من نفس اللون وجزمة جلدية عالية . لكن الذي جلب انتباههما اكثر من اي شيء آخر كان شارة مميزة فوق جيب سترته .

ابتسم الرجل . لاحظ فريد ان له وجها لطيفا . كانت بشرته قد لوحتها الشمس فبدا لونها اسمر غامقا ، وكانت له وجنتان بارزتان وملامح حادة . كانت عيناه سوداوين هادئتين تضيؤهما ابتسامته بشكل يظهر سروره وانبساطه .

قال الرجل :

— يؤسفني أنني أربكتكما ، تعالا هنا ، أريد التحدث اليكما .

كان في صوته الهادىء مايبعث على الاطمئنان ، واطاعه الولدان . تقدما نحوه حتى وقفا أمامه تماما وهما ينظران الى وجهه . وهز الرجل رأسه قائلا :

— اذن فانتما تطاردان المتسللين . وأنا كذلك !

مد يده في جيبه الجانبي واخرج محفظة صغيرة . فتحها وأمسكها أمامهما . كانت تحوي بطاقة رسمية صادرة من هيئة الولاية للاسماك والغابات ، وكانت البطاقة بأسم (جيمس هولدن) حارس غابات الولاية . كان ختم الولاية مختوما فوق الصورة الفوتوغرافية للرجل الواقف أمامهما . قال السيد هولدن وهو يغلق المحفظة :

ـ هذه بطاقة هويتي ، كل حراس الغابة يحملون مثلها .

بدأ فريد يقول : لكن السيد ترايمور ليس لديه ...

ثم توقف . لم يكن السيد ترايمور يحمل بطاقة هوية لانه لم يكن حارس غابة ، وانما كان متسللا . شعر فريد بالحرارة تدب في وجهه وتمنى لو انه لم يقل شيئا . وسأل السيد هولدن :

ـ ومن هو ترايمور ؟

ثم عبس بسرعة وقال :

ـ أوه .. لقد عرفت ، انه صديقنا المتسلل . كيف تعرفتما عليه؟

قال فريد بعجلة :

ـ كان ملح الصخور فوق الجذع .

وبينما راح يحدث السيد هولدن عن كيفية عثورهما على الملح ، ومشاهدتهمـا له بين يدي السيد ترايمور عادت اليه ثقته بنفسه . وقال السيد هولدن :

ـ يالكما من محققين !

ولم يستطع فريد ان يتأكد ان كان السيد هولدن يسخر منه أم أنه يعني ما يقول . وقال فريد بصوت عال :

ـ على أية حال ، لقد أبعدنا الايل .

وابتسم السيد هولدن ، وفي هذه المرة عرف فريد انه لم يكن ساخرا وسمعه يقول :

ـ لقد كان عملا حاذقا وسريعا ، لكنه في الوقت ذاته أفسد عليّ الشرك الذي نصبته .

ـ الشرك !

قالها هانك وفريد في وقت واحد .

بدأ السيد هولدن يتمشى جيئة وذهابا قرب الموقد . وتذكر فريد كيف كان السيد ترايمور يفعل الشيء ذاته . ولكن هناك اختلاف بين الحالتين . كان السيد ترايمور يفعل ذلك بعصبية وعدم ارتياح أما السيد هولدن فهو يسير بخطوات واسعة رشيقة لرجل معتاد على النشاط يكره الخمول من أي نوع .

قال السيد هولدن بعد قليل :

— الشرك الذي نصبته لامساك المتسللين ، لقد رأيت ملح الصخور فوق الجذع ايضا . وادركت ان شخصا ما سيستعمل الضوء الوهاج في تلك البقعة . لقد كنت مختبئا فوق هذا الجبل ليومين أملا في الحصول على الفرصة لامساكه متلبسا . لكنكما ياصديقيّ جئتما وأفسدتما المشهد .

وابتسم السيد هولدن بأسى . راح فريد يركل جذعا قريبا وتمنى لو يستطيع ان يجد شيئا يقوله ليبعد عن ذهن السيد هولدن خيبة الليلة الماضية . وقال بالهام مفاجيء :

— ولماذا لا تلقي القبض على السيد ترايمور ؟

رد السيد هولدن :

— لا استطيع حاليا ، يجب ان امسك به وهو يطلق النار على الايل او كما يقال متلبسا ومعه جسد الجريمة .

هز فريد رأسه باهتمام . لقد قرأ قصص المخبرين السريين

وهو يعرف ان جسد الجريمة هو الجثة اي الجسم الميت ويعد برهانا على وقوع الجريمة . وقال السيد هولدن :

ـــ لو كنت أعرف أين أخفى الايل الذي اصطاده لكان كل شيء على مايرام . لابد ان هناك من يساعده . لا يمكن ان يكون وحده في هذا الامر .

فكر فريد بجو باتشز وفتح فمه ليتكلم لكنه نظر الى هانك الذي حذره بحركة سريعة من رأسه . عرف فريد ان هانك كان يفكر بجو أيضا . لكن أيا منهما لم يكن يريد ان يذكر اسمه . غير أنهما كانا قد نسيا عيني السيد هولدن الحادتين ، وسمعاه يقول :

ـــ ما الحكاية ؟

كان صوته حاد النبرة ، وكان يريد جوابا . فكر فريد بسرعة وقال :

ـــ كنا نفكر فيمن يمكن ان يساعد السيد ترايمور . أنا لا أرى ... أعنى ، كيف يجد المتسللون مساعديهم عادة ؟

لم يكن ذلك سؤالا بقدر ماكان أفضل ما استطاعه فريد ليحول انتباه السيد هولدن عن جو باتشز .

حدجه السيد هولدن بنظرة سريعة وضحك فجأة . بدا أنه يعرف أن فريد يتهرب من سؤاله لكنه لم يشأ ان يلح في الموضوع وقال :

ـــ يحتاج المتسلل الى المساعدة في نقل الايل بعيدا عن مكان الصيد وهم عادة يستعملون شاحنة صغيرة مكشوفة او عربة مغلقة .

وصاح هانك وفريد بصوت واحد :

— العربة !

وقبل ان يتمكن السيد هولدن من طرح أي سؤال أخبراه برؤيتهما للعربة المغلقة الصغيرة على طريق الوادي . راح الاثنان يتكلمان في وقت واحد لكنهما كانا يحاذران ان يذكرا حقيقة ان جو كان معهما ذلك اليوم . هز السيد هولدن رأسه عندما انتهيا من الرواية وقال :

— انها عربتهم بالتأكيد . وهذا يعني انهم حصلوا على شحنة قبل قدومي بقليل . ولابد أنهم اصطادوا ثلاثة او اربعة أيائل الآن . ولابد لي ان أعرف أين يخفون الايائل .

قال فريد :

— لم يخبرنا السيد ترايمور أين يقيم خيمته .

وتمنى لو أنهما سألا السيد ترايمور عن هذا الموضوع . لكنه بعد ذلك قال لنفسه ان السيد ترايمور ربما لم يكن ليخبرهما عن مكان اقامته على أية حال .

وقال هانك :لقد حسبنا أنه حارس الغابة . ولم نراقبه لنعرف الى أين يتجه . وسأل السيد هولدن فجأة :

— ألم يكن هناك زوار آخرون ؟

رد فريد :

— لا شيء الا ذلك الايل الذكر الذي كاد يحطم كوخنا حينما كنا لا نزال نبنيه .

قطع السيد هولدن مشيته ونظر الى فريد بتقطيبة خفيفة وسأل :

ـــ الايل فعل ذلك ؟ يبدو ذلك غريبا • الايائل لا تقترب عادة من مساكن البشر •

قال فريد الذي شعر ان السيد هولدن يشك في كلامه :

ـــ لكن هذا الايل فعل ، لقد رأينا آثاره ، حسنا ، انظر ! تلك هي مرة اخرى بجانب الباب تماما •

واشار بيده التي كانت ترتجف من الانفعال • وعلى التراب الناعم قرب الكوخ كانت عدة بصمات متقاربة لاظلاف الايل مطبوعة بوضوح • انحنى السيد هولدن فوق الآثار • ولم يقل شيئا لدقيقة • لكن فريد عرف من طريقة تفحصه للآثار انه يعلق أهمية كبيرة عليها • واخيرا قال السيد هولدن بصوت هاديء وكأنه يحدث نفسه :

ـــ لقد جاء هنا لمرة اخرى • ولابد ان ذلك كان بعد نزولكما الى الفسحة وقبل وصولي الى هنا • ماالذي جعله ينصرف؟

ولم يستطع فريد ان يتحمل المزيد ، وانساه انفعاله آداب الحديث فصاح :

ـــ هو ؟ من هو ؟

قال السيد هولدن ببرود :

ـــ ترايمور • تلك ليست آثار أيل حقيقية ، على الرغم من أنها تقليد جيد •

حدق هانك وفريد الى الآثار على الارض • وللحظات تساءل فريد مع نفسه ان كان السيد هولدن يمزح • وابتسم السيد هولدن غير ان ابتسامته لم تكن تدل على السرور •

ـــ هل لا حظتما جزمته ؟

أطلق السيد هولدن هذا السؤال بسرعة حتى ان فريد رمش بعينيه • وقال هانك :

— رأيناها عدة مرات ، وشاهدناه يلبس أحذية مطاطية خفيفة أيضا •

— أراهن أنه فعل ذلك ••• بعد ان خشي أن تلاحظا جزمته • تلك الجزمة لها مسامير صنعت لتشبه آثار الايل • لا عجب انني لم استطع تتبعه خلال الغابة بأي شكل من الاشكال • لماذا لم افكر بذلك من قبل ؟

بدا السيد هولدن منزعجا ، لكن فريد شعر انه لم يكن غاضبا منهما وانما غاضبا من نفسه لانه لم يفكر بذلك الدليل من قبل • وسأل فريد :

— ولماذا جاء هنا هذا الصباح ؟

كان فريد سعيدا لانه هو وهانك لم يكونا موجودين حين جاء زائرهما • وتساءل ماذا كان يمكن ان يقولا للسيد ترايمور لو وجداه في الكوخ وهما يعلما انه من المتسللين •

قال السيد هولدن :

— أريد ان اعرف لماذا غادر ؟ لماذا لم ينتظر عودتكما ؟ أنا مستعد لمنح من يخبرني أين هو الآن كل ما يطلب •

قال فريد وهو يتذكر اشارة السيد ترايمور الى الاعلى :

— لقد قال ان لديه خيمة في أعالي الجبل • ألم تشاهد نيرانه ؟

قال السيد هولدن وهو يعود الى خطواته الواسعة :

ـ يستطيع اخفاءها ، ربما يخفيها بين بعض الصخور .

وبدا كأن ومضة مفاجئة أنارت عقل فريد . أضاءت عيناه وتهدج صوته وهو يقول :

ـ الكهوف !!

استدار السيد هولدن نحو فريد وأمسك بذراعه بقوة جعلت فريد يجفل وقال بصوت حازم :

ـ هل قلت الكهوف ؟ أين هي ؟

راح فريد وهايك يتحدثان في وقت واحد . أخبرا السيد هولدن بجمل مختلطة غير مترابطة عن الكهوف الكلسية القديمة في أعلى الجبل . حتى ان فريد كاد يخبره كيف أنهما ذات مرة تاها في أحد تلك الكهوف ، غير ان هانك غطى على روايته بوصفه لتلك الكهوف وكيف أنها كبيرة وتصلح مخبأ آمنا مثاليا للمتسللين .

لم يقاطع السيد هولدن الولدين أبدا . وبدا قادرا على الاصغاء اليهما سوية وفهم كل ما قالاه . وحين توقفا عن الكلام أخيرا بسبب تقطع انفاسهما بالدرجة الاولى . هز السيد هولدن رأسه وبدا راضيا جدا . وقال بصوت مؤثر :

ـ لقد أصبتما . أنا لم اسمع بالكهوف القديمة أبدا ، لكنها تبدو لي مخابيء طبيعية لصائدي الايائل فهي معتدلة الحرارة، كما أنها بعيدة عن الطريق . والآن انتبها اليّ . يجب ان نضع خطة .

هز هانك وفريد رأسيهما بجدية . لم يشعر فريد سابقا

بأهميته كما شعر في تلك اللحظة . واصغى باهتمام وقلبه يخفق من الانفعال . وقال السيد هولدن :

— سنحتاج الى مساعدة . يجب ان يشترك اكثر من رجلين في هذا الامر . سوف أتصل بمركز شرطة الولاية ليرسلوا لنا رجلين للمساعدة .

قال فريد :

— بيت جو باتشز أقرب البيوت ، وفيه هاتف .

ابتسم السيد هولدن قائلا :

— يستطيع جو أن يساعد وان يكسب رزقه أيضا . والآن أصغيا . ابقيا كليكما هنا . واذا عاد ترايمور لا تدعاه يعلم انكما كشفتما أمره .

سرت رعدة خفيفة في جسد فريد . وتساءل مع نفسه ان كان يستطيع التظاهر بأنه لا يعرف حقيقة السيد ترايمور اذا التقى به وجها لوجه . وتمنى ألاّ يحدث ذلك .

القى السيد هولدن نظرة على ساعته اليدوية وقال :

— انه منتصف النهار الآن . ليكن لقاؤنا في الساعة الواحدة . سيكون معي شرطيان وسوف نرى تلك الكهوف . والآن تذكرا . ابقيا هنا فقط .

وبالطبع لم يضيع السيد هولدن وقتا بعد ان وضع خطة التحرك ، وخلال لحظات اختفى متحركا باتجاه السد بالخطوات

الرشيقة السريعة الصامتة ذاتها التي أعجبا بها لدى السيدترايمور.

ولدقائق قليلة بعد ذهابه جلس هانك وفريد دون حركة . كان كلاهما يحاول ان يستوعب مراحل تطور الاحداث كلها . الرجل الذي حسباه المتسلل كان مراقب الغابات . والذي حسباه مراقب الغابات كان المتسلل . كان من العسير هضم ذلك كله مرة واحدة وكان من الصعب على الفهم ايضا ان السيد ترايمور استطاع خداعهما بتلك السهولة . وقال فريد بكآبة :

— لقد خدعنا فعلا ، نحن اخبرنا السيد ترايمور أنه مراقب الغابات .

قال هانك :

— بيه ، كان ذلك بعد ان قرأنا ذلك الكتاب الذي أرسلته هيئة الولاية الى جو .

وراح الاثنان يفكران مليا بتلك الحقيقة المحزنة في صمت لبضع دقائق ، ثم قفز فريد ناهضا على قدميه . لم يكن من الممتع بالتأكيد الجلوس والتفكير بمدى حماقتهما . وقال :

— ربما نستطيع ان نبحث عن المزيد من آثار السيد ترايمور في الجوار .

وبدأ يجوس خلال الادغال القريبة من الكوخ . وسأل هانك :

— ما الامر ؟ لقد طلب السيد هولدن منا أن نبقى هنا .

رد فريد :

ــ لست ذاهبا الى أي مكان • ألا استطيع التجوال قليلا دون أن تصرخ بي ؟ هي !

كانت كلمته الاخيرة صرخة دهشة حادة • ونهض هانك في لحظة وسأل :

ــ ما الحكاية ؟

ــ انظر ••• انظر هناك !

على بعد لا يزيد عشرة اقدام خلف الكوخ كان هناك جزء رفيع من شريط أحمر يتدلى من احدى الشجيرات •

قال هانك :

ــ انه أحد أشرطة جاني • ماالذي كانت تفعله هنا خلف الكوخ؟

رد فريد :

ــ هذا ما أود معرفته ، لقد كنت تواً أفكر بأن من يسير في هذا الاتجاه لابد انه متجه الى الكهوف •

وألقى نظره الى الاعلى نحو المنحدر الكثيف الاشجار الممتد فوقهم • في مكان ما خلف تلك المنطقة المزدحمة بالاشجار تقع الكهوف • وربما يستخدم السيد ترايمور احدى تلك الفجوات المظلمة مخبأ لما يصطاده من الايائل • وتزاحمت الافكار في رأس فريد • لكن هانك تساءل :

ــ ما الذي يجعل جاني تذهب الى الكهوف بحق السماء ؟

ــ وما الذي يجعل جاني تفعل أي شيء ؟

كان فريد يتكلم غاضبا لانه كان يحس بعدم ارتياح • واكمل:

ــ انت تعرفها • اذا جاءت هنا ولـم تجدنا فقد تذهب للبحث

عنا .

قال هانك فجأة :

ــ ربما وجدت ترايمور هنا . لقد كان هنا هذا الصباح ، نحن نعرف ذلك بسبب الآثار التي تركها .

كان فريد قد فكر بالشيء ذاته ، لكنه كان يأمل ان الفكرة بعيدة الاحتمال جدا ولا حاجة لذكرها . نظر الى هانك بتمعن وكان وجهه النحيل شاحبا ، لكن هانك لم ينظر اليه . كان يركل الارض بحذائه وقال :

ــ ربما أخذها ترايمور معه الى الكهوف .

ــ لماذا ؟

اعتدل هانك في وقفته وهز كتفيه :

ــ وما يهم السبب ؟ يجب ان نعثر عليها . هذا كل مافي الامر . هيا بنا !

ولم يكن فريد يحتاج الى الحاح . كان الاثنان يعرفان أين تقع الكهوف وكان عليهما ان يصلا اليها بأسرع وقت ممكن .

ما ان بدآ سيرهما بين الادغال حتى توقف هانك قائلا :

ــ لنكن حاذقين مرة واحدة . دعنا نمعن التفكير في ذلك .

ــ كيف ؟ لماذا ؟ يجب ان نعثر على جاني .

لم يكن يهم فريد كيف يصلان الى الكهوف . كان كل مايهمه هو العثور على جاني والاطمئنان على سلامتها .

قال هانك :

ــ لكننا يجب ان نفعل ذلك بصورة صحيحة . السيد هولدن

لا يعرف اين تقع الكهوف . يجب ان تترك له دليلا يرشده ليسهل عليه تتبعنا .

صاح فريد :

— اكسر الاغصان والاعواد . هيا أسرع !

سار هانك في المقدمة وتبعه فريد عن قرب . سلك الاثنان طريقهما خلال الادغال وهما يكادان يحبسان أنفاسهما . كان هانك يدفع الاغصان الى جانب ويمسكها لفريد ، وكان فريد يعيد كل غصن الى مكانه بعناية وكأنه قطعة من الزجاج . كانا يراقبان كل خطوة يخطوانها . لم يتكلما أبدا الا بعض الهمسات المحذرة طلبا للهدوء .

كان هانك يكسر غصنا صغيرا كل بضعة أقدام ليترك اثرا يدل على طريق سيرهما . وكان فريد يكسر فرعا حين يعتقد أن هانك لم يعلم طريقهما بشكل واضح . أي شخص له دراية بامور الغابات سيتمكن من تتبعهما .

كان ذلك عملا بطيئا ، كانت الصخور تعترض الطريق وكان عليهما ان يتسلقاها او يدورا حولها . وتكاثفت الادغال اكثر وكانت الريح تصفر في اعالي الصنوبر وكان صوتها يشبه نداء يدعوهما الى الحذر .

لم يذكر أي منهما جاني . لكن فريد كان يفكر بها . تذكر كم كانت تبدو سعيدة . تذكر كيف كانت تصفر وهي تصعد الجبل . ورأى في خياله الشريط الاحمر في شعرها . وتمنى ألاّ تكون خائفة الآن .

واخيرا وبعد جهد جهيد وصلا الى نقطة في منتصف الطريق الصاعد الى الكهوف . كانت صخور هائلة ترتفع من بين الادغال، كتل من الحجارة المتراكمة تلوح رماديةكابية في ظلال الغابة الباهتة.

همس هانك وهو يشق طريقه متقدما :

ـ انها قريبة من هنا في مكان ما ، اتذكر اننا مررنا بهذه الصخور في تلك المرة .

وفجأة قال فريد وهو يشير باصبعه :

ـ ييه ! انظر !

كانت قطعة صغيرة حمراء تستقر على صخرة فوقهما تماما . اندفع الولدان سوية الى الامام في لحظة واحدة . وصل هانك اليها أولا . سحب الشريط واستدار ليريه لفريد . بعد ذلك أطلق صرخة حادة وخر على ركبتيه . امتدت يداه تتلمسان ما يتمسك به في الصخور الملساء . وفي اللحظة التالية اختفى . كان يبدو كأن الارض انشقت وابتلعته .

صعق فريد . انها الحقيقة . لقد ذهب هانك . وهو الآن وحيد فوق الجبل .

في الاسـفل

كان فريد متأكد أنه يحلم • في الاحلام فقط يحدث مثل هذا شخص يقف أمامك وفي اللحظة التالية يختفي • نظر الى البقعة التي كان فيهـا هانك بعينين مندهشين لا تطرفان • كانت البقعة فوقه تماما على دكة صخريـة صغيرة • كانت بعض الادغال القصيرة وتجمعات النباتات المتسلقة تلتف وتتشابك بين شقوق الصخرة •



فتح فريد فمه لينادي غير ان الصوت الوحيد الذي استطاع اخراجه كان حشرجة غريبة • سـعل ليسلك حنجرته ، ثم تقدم باحتراس يشق طريقه بصعوبة فوق الارض الوعرة حتى وقف تحت

الدكة الصخرية تماما حيث شاهد هانك لآخر مرة .

ـــ هانك !

كان نداؤه همسا مبحوحا . لم يسمع ردا . لم تلتقط اذناه أي صوت عدا نواح الريح وحفيف الصنوبر . تمنى لو انه يشعر بركبتيه أصلب قليـلا من حالتهما المطاطيـة تلك . وكان يحس بالشعور المطاطي ذاته في اصابعه أيضا . أصبح من العسير عليه الى حد ما ان يتمسك بالحافة جيدا ويسحب نفسه الى الاعلى . ولكن، عليه ان يعثر على هانك .

واخيرا جر نفسه جرا فوق حافة الصخرة ، وتمسك بعريشة كبيرة قوية فوق الحافة الضيقة . كانت الادغال والعرائش كثيفة جدا في هذه المنطقة وكانت تخفي الصخرة تقريبا . نهض فريد على قدميه وخطا خطوة الى الامام .

ـــ فريد ! خذ حذرك !

كان ذلك صوت هانك مخنوقا خافتا . وبدا كأنه يأتي من تحت اقدام فريد . نظر فريد الى الاسفل . وحينذاك رآها . رأى يدا تمتد من بين كتلـة من النباتات المتعرشـة في مؤخرة الدكة الصخرية .

لم يستطع فريد أن يتحرك . راح ينظر الى اليد وكأنه أرنب ينظر الى أفعى . كانت يدا كبيرة قوية ذات رسغ سميك . أطبقت على كاحليه وسحبت قدميه .

ـــ هيه ! دعني !

كان ذلك صوته ، لكن فريد لم يكن يدرك انه كان يصرخ

شعر بأنه يسحب بين الادغال التي خدشت وجهه وذراعيه • ثم سقط على وجهه فوق سطح صخري صلب •

استلقى ساكنا لثوان متسائلا ماذا يمكن ان يحدث له بعد ذلك ، منتظرا بانفاس محبوسة في حنجرته • تحركت ظلال مبهمة فوقه لكنها كانت اشد عتمة من ان يتمكن من تمييزها أشكالا محددة • لم يجرؤ على الحركة وتساءل ان كان يستطيع التنفس •

بعد ذلك سمع من خلال العتمة صوتا يعرفه جيدا : (فريد !) • كان ذلك صوت جاني • بدت مندهشة غير انها لم تكن خائفة على الاطلاق •

أثر ذلك الصوت المألوف على فريد كتأثير الصعقة الكهربائية • لابد ان جاني بخير مادامت تستطيع الكلام هكذا • تدحرج وجلس معتدلا • لم تعد العتمة شديدة الآن • بعض الظلال بدأت تتخذ اشكالا محددة • شكلان كانا جالسين أمامه تماما ، جاني وهانك • (هه ؟) لم يكن ذلك كلاما بقدر ماكان أفضل ما استطاع فريد تدبيره في تلك اللحظة • وراح يحدق الى الشكلين الشاحبين أمامه ولاحظ أنهما يجلسان وظهراهما الى جدار صخري • وسيقانهما ممدودة امامهما •

(انه الآخر ، هه ؟)

قفز فريد وكأن دبوسا نخزه • كان السيد ترايمور هو الذي تحدث توا • وكانت يد السيد ترايمور هي التي جاءت به الى هنا • فتل رأسه لينظر من فوق كتفه ورأى الجرم الهائل للرجل الذي يعرفه جيدا •

قال فريد : هذا أنا •

وحينمـا ضحك السيد ترايمور ، الضحكة المستريحة التي سمعها فريد من قبل تمنى لو انه لم يتكلم • كان ذلك أسخف شيء يقال فالسيد ترايمور يعرف بالطبع من هو • وقال السيد ترايمور:

ـ اجلس هناك مع الآخرين •

كان صوته المعهود ذاته ، لكنه مختلف مـع ذلك • كانت النبرة نفس النبرة لكنها اكثر حزما • وعرف فريد انه يعني مايقول• وبحركة انزلاق سريعة انضم فريد الى الآخرين قرب الجدار • كانت جاني بجانبه وهانك الى جانبها الآخر • انحنى نحو جاني ولكزها في جنبها قائلا بهمسة خافتة :

ـ هل أنت بخير ؟

قالت جاني بصوتها المرتفع الواضح المعتاد :

ـ أنا ؟ أنا بخير طبعا ، فأنا لم أسحب عبر فتحة في الصخور كي أصل الى هنا •

تذكر فريد كم كان قلقا عليها وبدا له من لهجتها أنـه أضاع وقته هدرا في القلق عليها • قهقـه السيد ترايمور وتردد صدى قهقهته بشكل غريب في ظلمة الكهف • وقال :

ـ بنت جريئة، الانسة جاني، وجدتها تتجول في الخارج فدعوتها وهاهي ذي •

بدا الامر كما رواه السيد ترايمور بسيطا • وتساءل فريد مع نفسه ان كان يقول الحقيقـة • وسأل فريد جانـي وهو يستدير نحوها :

ـ ماذا كنت تفعلين هنا يا حمقاء ؟

ولدهشته الشديدة بدا السيد ترايمور مهتما بمعرفة جواب هذا السؤال فقد قال :

— أنا نفسي أتساءل أيضا .

لكن جاني اكتفت بنقر عقب قدمها بأرضية الكهف الصخرية. ولاحظ فريد — الذي اعتادت عيناه على الظلمة الآن — ان فمها كان مطبقا بشكل يدل على العناد . وكان هانك هو الذي تكلم بعد ذلك وبصوت هادىء لكنه حازم :

— يستحسن ان تقولي ياجاني .

وتنهدت جاني ثم بدأت تتكلم بسرعة فائقة :

— كنت اتجول فقط ورأيت كوخكما البائس ، ولم تكونا هناك لذا فكرت بالبحث عنكما . وسمعت صوت حركة شخص ما بين الادغال ...

قطع حديثها صوت السيد ترايمور وهو يقول ساخرا :

— اذنان حادتا السمع أيضا ، آنسة جاني ؟ كان ذلك الشخص أنا ، وليس هناك بين الناس الكثير الذين يستطيعون سماع صوت حركتي في الغابة .

تذكر فريد آثار الايل التي شاهدوها قرب الكوخ . اذن فالسيد ترايمور كان هناك ، ولابد ان جاني تبعته . وسأل وهو يومىء الى السيد ترايمور :

— هل حسبت أنه نحن ؟

— أعتقد ذلك .

بدت جاني الآن أسلس من ذي قبل . واكملت :

— لقد تبعته الى هنـا على أية حال ، وقد رآني فطلـب مني الدخول ••• ففعلت •

دمدم فريد : مجنونة !

— وما وجه الجنون في ذلك ؟ أنت وهانك جئتمـا أيضا • ألم تفعلا ؟ أنا فقط وصلت هنا بضع دقائق قبل ان ••• واشارت الى السيد ترايمور واكملت :

— يسمعكما تتسلقان في الخارج ويسحبكما الى الداخل • لقد بدوتما مضحكين فعلا •

وراحت جاني تقهقه بسرور •

زمجر فريد حانقا • لـم يعد هنالك الكثـير مما يمكن ان يناقش فيما يخص كيفية وصول جاني الى هنا • مهما قال لها فانه لن يؤدي إلا الى جعل خوفه عليها يبدو اكثر حماقة • لكنه قال :

— على أية حال فانك قد جئت بقدميك الى مخبأ التسللين •

كان فريد يأمل ان تكون هذه المعلومات بمثابة صدمة لهـا لكنها لم تتأثر بها أيضا فقد قالت بمرح:

— أعرف ذلك ، أنظر هناك •

تتبع فريد بعينه الاتجاه الذي أشارت اليه • خلف السيد ترايمور كانت ثلاثة أيائل معلقة من أرجلها في قضيب مغروز في الصخور قرب السقف • كانت تبدو غريبة ، قبيحة وجامدة في ظلمة الكهف • وتذكر فريد كيف تبدو الإيائـل وهي مليئة بالحياة • وصـدر عنه دون ارادته صوت يدل على الاشمئزاز • ولابد ان

السيد ترايمور قد ميز النغمة الجديدة في صوت فريد فقد اعتدل في وقفته وتكلم بصوت اكثر حدة :

— الزموا الصمت رجاء .

أجفل فريد . لقد تذكر فجأة انهم سجناء ، ولاحظ ان السيد ترايمور كان يحمل بندقية يمسك بها الى جانبه وطرف ماسورتها موجه الى الارض . كانت البندقية تجعله يبدو اكثر هيبة . حرك فريد كتفيه منزعجا . الى متى سيحتفظ السيد ترايمور بهم في هذا المكان ؟ كان يوشك ان يطرح السؤال لولا ان السيد ترايمور قال في صوت اعتيادي :

— افعلوا كما أقول لكم يا أولاد واجلسوا صامتين . سوف تخرجون من هنا قريبا .

وتحرك الى الخلف وهو يقول ذلك فازدادت الاضاءة لان هيكله الهائل لم يعد يخيم على المكان . تطلع فريد حوله . لقد كان يشعر شعورا غامضا بأنهم في مؤخرة احد الكهوف ، والآن تأكد له ذلك . كان الكهف الكبير ذاته الذي استكشفاه هو وهانك مرة فيما مضى . وبعد قليل من التفكير عرف أنهم يجلسون متكئين الى الجدار الخلفي للكهف وأن المدخل الرئيس كان الى الجهة اليسرى خلف كتلة صخرية ناتئة . كان الضوء يدخل الى المكان من ذلك المدخل الكبير فقط وكانت الكتلة الصخرية البارزة تحجب الكثير منه . لم يصل هو وهانك الى هذا الجزء من الكهف أبدا .

كانا يذهبان في الممر الآخر الذي يتفرع الى اليمين • وحتى الآن لم يكن فريد يعلم ان للكهف مدخلا آخر ، المدخل الذي سحبا منه هو وهانك بشكل غير لائق •

— لماذا تبقينا هنا ؟

بدا سؤال هانك واقعيا جدا ولم يستطع فريد أن يعرف أية شجاعة واتت صديقه لجرؤ على طرحه • ثم تساءل مع نفسه كيف يجرؤ هانك على قول أي شيء يمكن ان يزيد غضب السيد ترايمور فهو على أية حال متسلل ، ويحمل بندقية • أما السيد ترايمور الذي بدأ يتمشى أمامهم متوترا ، فقد توقف فجأة ونظر الى هانك ثم قال بحدة :

— أنتم ياأولاد أقحمتم أنفسكم في هذا الأمر • أنا لم أطلب منكما المجيء الى هنا • وعلى أية حال ماالذي جئتما تفعلانه هنا ؟

قال سؤاله بصوت كالنباح • ورد هانك :

— لقد تبعنا جاني •

وقال فريد الذي أحس ان هانك بحاجة الى مساعدة :

— شرائط شعرها !

امتدت يد جاني الى شعرها ثم قهقهت بصوت مكتوم وقالت:

— لحسن الحظ أنها تسقط دائما •

لكـــن السيد ترايمور لم يكن يبدو مهتما بما جـاء بهم الى الكهف • لقد بدأ يتمشى جيئـة وذهابا من جديد • ثم نظر الى

ساعته اليدوية وتنهد بنفاد صبر . وهمس هانك وهو ينحني عبر جاني نحو فريد :

— انه ينتظر شخصا ما ، ربما يكون الرجل الذي يقود العربة المغلقة .

— صمتا !

كان السيد ترايمور يتكلم بحدة . لقد اختفت من صوته النغمة اللطيفة كلها :

— لقد سببتما من الازعاج ما فيه الكفاية لحد الآن . سوف تبقيان هنا حتى اغادر هذا المكان مع تلك الجثث . وبعد ذلك تستطيعان الذهاب الى أي مكان تريدان وتأخذان معكما الآنسة جين .

على الرغم من كلمات السيد ترايمور الخشنة ، شعر فريد بومضة خفيفة من الفخر بداخله . اذا كانا قد تسببا في ازعاج المتسلل فهذا شيء في صالحهما . ثم خطرت له فكرة . اذا كانا يريدان تقديم المساعدة للسيدة هولدن حقا فيجب ان يفعلا شيئا اكثر من تسبيب الازعاج البسيط .

ودارت الأفكار في رأس فريد . لقد حدس أنهم يجب ان يبقوا السيد ترايمور في الكهف حتى يصل السيد هولدن ومعه الشرطة . وفكر في شيء يقوله فلم يجد غير السؤال :

— ماذا .. أعني .. الى أين تأخذ كل هذه الايائل ؟

— لا شأن لك بذلك !

كان رد السيد ترايمور جافا قاطعا حتى ان فريد تمنى لو أنه لم يتكلم . وسأل هانك :

ــ كم الساعة الآن ؟

كان هانك يتكلم ببساطة وكأنه لم يكن يهتم ان كان السيد ترايمور سيرد عليه او لا . ورأى فريد السيد ترايمور ينظر الى ساعته اليدوية ثم ينحني كي يسقط شريط من الضوء ينبعث من المدخل على الساعة :

ــ انها الآن تشير الى ... ولكن قل لي ماذا يعنيك كم تكون الساعة ؟

عبس السيد ترايمور وتغضن وجهه السميك بسخط عميق. وقف لحظة مركزا عينيه الجليديتين على هانك .

قال فريد بالهام مفاجىء :

ــ انه .. انه وقت الغداء تقريبا .

ربما يجعل هذا الكلام السيد ترايمور يظن أنهما يفكران فقط بشيء يأكلانه . لم تكن هنالك أية فرصة لان يعلم المتسلل ان السيد هولدن والشرطة سيكونون في الكوخ في تمام الساعة الواحدة . وكم سيلزمهم من وقت للوصول الى الكهف ؟

لم يعر السيد ترايمور اي انتباه لفريد ، ودمدم بحنق ببعض الكلمات التي التقط منها فريد (زميلي ذاك) وبدأ السيد ترايمور يتمشى على طول الكهف . توقف مرة عند المدخل وتطلع الى الخارج . انحنى هانك من فوق جاني وهمس :

— أبقه هنا .

استدار السيدترايمور مبتعدا عن المدخل وتقدم نحوهم . ومرة أخرى اعتدل هانك في جلسته وحدق الى الامـام . جلس الثلاثة مثل صف من الدمى الجامدة . وسأل السيد ترايمور فجأة:

— هل رأيتم أحدا في الجوار ؟ حارس الغابات ذاك ، القادم من الولاية مثلا ؟

لم يتحرك فريد . لـم يكن السيد ترايمور يعرف بوجود السيد هولدن فوق الجبل . وكاد فريد يضحك بصوت مرتفع . السيد هولدن تفوق كثيرا على المتسلل . لكن فريد لم يقل شيئا . وسأل هانك :

— رأينا من ؟

كان يبدو مذهولا وعرف فريد انه كان يحاول كسب الوقت رد السيد ترايمور : ذلك الحارس الذي ...

وتوقف ثم رفع يده وصاح : صمتا !

أنصت فريد جيدا . لم يكن هناك اي صوت . كان الكهف صامتا صمت الاموات . بعد ذلـك سمعه . كان صوتا خافتا ، قرقعة تكسر اعواد ، صوت احتكاك خفيف يأتي من مكان ما خارج الكهف . شخص ما كان في الخارج . شخص ما كان يقترب مع كل ثانية تمر . هل هو السيد هولدن مع الشرطة ام ...

سقط ظل من عمود النور الداخل عبر فتحة الكهف ، وكبر الظل حتى غدا حقيقة ، وكان الرجل الذي تقدم شخصا لم يره فريد

من قبل . كان القادم الجديد رجلا صغيرا نحيفا له وجه أرنبي ذو فك مدبب يتحرك بايقاع منتظم وهو يلوك اللبان . وقف يطرف بعينيه في مؤخرة الكهف . يداه في جيوبه ، وفوق مؤخرة رأسه تتأرجح قبعة عتيقة . وسمع صوت مرتفع أخن يقول :

ـ هل من أحد هنا ؟

ـ ما الذي أخرك ؟ انها الواحدة تقريبا .

وتقدم السيد ترايمور ليلتقي بشريكه . وللحظات أهمل فريد مراقبتهما . استدار نحو هانك والتمعت عيناه وهمس بتوتر:

ـ انه واحد فقط .

ـ هششش .

جاء تحذير هانك في الوقت المناسب فقد وقف السيد ترايمور فوق رؤوسهم مرة أخرى وقد بدا عليه التوتر اكثر من ذي قبل وجمدت ملامحه وامحى من على وجهه المدور السميك كل مزاج طيب وقال لهم :

ـ اجلسوا هادئين يا أولاد وستكونون بخير . أنا و (مات) سوف نخرج من هنا بأسرع وقت .

وقف مات أمامهم بعد ان قام بحركـــه انزلاقية خفيفة بدت أقرب الى التزلج منها الى السير . توقف فكه عن الحركة الايقاعية وارتفع حاجباه وهو يقول :

ـ ماذا لديك هناك ؟ ماذا يفعل الاولاد هنا ؟

وبدا عليه عدم الرضا • التصق فريد بجاني ، لم يحب نظرات مات • وصوب مات نحوهم اصبعه وهو يقول :

ــ من الكوخ ؟

بدا بوضوح ان مات يفضل التحدث بأقل عدد من الكلمات• وقال السيد ترايمور وهو نافذ الصبر تماما :

ــ لا تهتم ، هذا من شأني • ساعدني في حمل هذه الايائل • علينا ان نخرج من هنا •

هذه هي اللحظة المناسبة • لو ان الامر رواية سينمائية ــ هكذا فكر فريد ــ فانه هو وهانك سوف يقفزان على الرجلين ويشتبكان معهما • سوف يستوليان على بندقية السيد ترايمور ويبقيان الرجلين تحت الحراسة المشددة • وسوف يأتي السيد هولدن والشرطة في اللحظة الحرجة • ثم تنهال عليهما التهاني لالقائهما القبض على المتسللين •

لكن الامر حقيقة وليس رواية في السينما • والسيد ترايمور لا يزال يمسك ببندقيته الى جانبه وهو يحملها قريبا منه حتى أثناء قيامه بجذب أحد الايائل لتخليصه من القضيب • وكان مات يقف فوق رؤوسهم هذه المرة • ولم يستطع فريد ان يتخيل اشتباكا مع السيد ترايمور او مات • كان يعرف لمن تكون الغلبة في صراع مثل هذا •

ــ واحد فقط •

قالها هانك هذه المرة بصوت هامس لكن فريد سمعه وعرف ماذا يعني بقوله . عليهما ان يؤخرا الرجلين بشكل او بآخر حتى يصل السيد هولدن ، ولكن كيف ؟ عقله يرفض ان يعمل . راح يراقب في صمت عاجز توجه مات لمساعدة السيد ترايمور في نقل الايائل . وسحب الرجلان أحدهـا من القضيب وطرحاه على الارض . وقال هانك :

— ذاك هو الخشف ، انه الخشف الثاني .

كان يتكلم وكأنه يحادث فريد . وقال فريد :

— لم يحصلا على الايل الذكر على أية حال ، الايل الذي يحمل على رأسه اثني عشر فرعا مدببا .

كان فريد يتكلم دون تفكير لكنه بشكل ما شعر ان أي شيء يقوله هو أو هانك قد يؤدي الى تأخير الرجلين .

استدار مات فجأة ونظر اليهما :

— اثني عشر فرعا ؟ أنت مجنون ! ستة عشر . لقد رأيتهما بنفسي .

وجذب أحد الايائل المعلقة فوق القضيب . تجددت آمال فريد . هاهي الفرصة المواتية . لقد اتضح له ان مات من النوع المحب للجدال على الرغم من قلة كلامه . وفجأة قال هانك :

— أنا أقول انها ثمانية !

وكاد فريد يصرخ فرحا ، لقد أدرك هانك المغزى وانتهز الفرصة ايضا وهاهو يحاول اقحام مات في جدال طويل في شأن الايل الذكر وقرونه .

تراجع مات خطوة وراح يحدج الولدين شزرا بعينيه السوداوين الصغيرتين :

ـــ أتريدان ان تجعلا من ذلك شيئا ما ؟ تتشطران عليّ ؟

هنا تقدم السيد ترايمور نحو شريكه وامسك به من كتفه :

ـــ مات ! أريدك ان تتوقف عن الكلام وتنشغل بعملك . علينا ان نخرج من هنا بسرعة .

دمدم مات بكلام مابين أسنانه وصوب نظرة حادة اخرى نحو الولدين :

ـــ أولاد حمقى ! يعلمونني مهنتي !

وزفر بقوة لكن هانك قال :

ـــ ثمانية فروع ،ثماني نهايات حادة . لقد رأيتها عدة مرات.

اعترض فريد وهو ينظر بلهفة الى مات :

ـــ اثنا عشر ، ياأحمق !

نفذ صبر جاني فصاحت :

ـــ ما الذي تتحدثان عنه ؟ لماذا لا تدعان هذا الرجل الصغير المضحك يهتم بشؤونه ؟

تطاول فريد وهو يهم بخنقها ، لكنه أقنع نفسه بالاكتفاء بلكزها بين أضلاعها .

صاحت جاني : آ آخ ..

ضحك مات ، وكانت ضحكته صوتا عاليا أخن بدا مزعجا في ظلام الكهف . وقال :

— يالهم من أطفال • في البدايـة يجادلون من هو أعرف منهم بالامور ثم يلكزون البنات • أولاد شاطرون !

ولشدة خيبة فريد بدا ان مات نسي كل شيء فيما يخص الايل الذكر • كان يسحب آخر الايائل بمساعدة السيد ترايمور • في اللحظة التالية سوف يكونان جاهزين للرحيل • لابد ان الساعة تجاوزت الواحدة الآن • ولابد ان السيد هولدن وصل الى الكوخ وسوف يصل الى الكهف بعد دقائق قليلة • ما الذي يستطيع هو وهانك ان يفعلاه لتأخير الرجلين خلال هذه اللحظات الاخيرة المهمة؟ وراحت أفكاره تدور بسرعة • لو أنه يستطيع فقط ان يجد شيئا

— أي شيء — أي كلام يقوله !

لكن فريد لم يكن مضطرا لقول الكلمة التالية • لقد قالها شخص آخر بدلا منه •

— تبا لهذه الصخور !

كان صوتا باردا متذمرا لكنه مألوف ومحبب جدا • وراح فريد يصيح دون ان يدري :

— جو ! جو باتشز ! هنا ، هنا في الاسفل ! أسرع • أسرع ! آلمته حنجرته لكن أذنيه كانتـا تصطخبان باصوات مختلطة تأتي من كل جانب • كان هناك صياح ، صرخـة مدوية ، خبطات أقدام قوية ، أقدام عديدة • بعد ذلك حجب الضوء القادم من مدخل الكهف • وكانت هناك اشكال ، أجسام تتحرك في كل مكان حولهم أقدام تتراكض فوق الصخور • ثم سقط الضوء فوقهم مرة اخرى •

ألصق فريد ظهره بالجدار الصخري بقوة وحبس انفاسه • لم يستطع في البداية ان يرى مايحدث • لقد عرف فقط انهم وصلوا ثـم رأى السيد هولدن • كان يقبض بقـوة على ذراع السيد ترايمور • وكان هناك رجال شرطة ايضا • اثنان ، ثلاثـة ، ربما ستة • استطاع فريد ان يميز حمالات مسدساتهم الجلدية ولون زيهم الرسمي الازرق الداكن • لقد قبضوا على مات ايضا • اثنان منهم كانا يمسكانه بينهما • ولم يتحرك مات ، لم يحاول ان يهرب • وقف ساكنا ، فكاه فقط كانا لا يزالان بمضغان اللبان •

أما الشخص الذي لاحظه فريد اكثر من غيره فقد كان جو باتشز • لم يستطع فريد ان يغفل عنه • كان جو يقف قرب المدخل حيث يسقط الضوء عليـه • لـم يخاطر بالتوغل في ظلام مؤخرة الكهف • لم يقم بأية خطوة للقبض على المتسللين • لكن جو تكلم في ذلك الموضوع تكلم كثيرا جدا :

— هاقد أمسكنا بكمـا • لا مكان هنا للمخادعين المحتالين • أمسكت بالمتسللين ، أليس كذلـك ؟ هكذا اذن ؟ تجربان حظكمـا في منطقتي ؟ كلا ! لن تستطيعا تحقيق اي شيء • الامر ببساطة يتلخص في أن لدي بندقيتي أنا أيضا •

كان جو يقول ذلـك وهو يكاد يرقص طربا • كان يمسك بندقيته بكلتا يديه ويسددها باستمرار مهددا نحو الظلمة في اعماق الكهف • وكان على الرغم من ذلك يحاذر ان يكون قريبا من خطر الاشتباك •

قال السيد هولدن بصوت هادىء وكأن الامر لا يعنيه :

ـــ حسنا يا جو ، شكرا • لقد أمسكنا بهما •

رد جو بانفعال :

ـــ ذلك شيء حســن ، أيضا • كنت اقول لزوجتي • قلت ، يا سيدتي ، اذا حان الوقت للقبض على المتسللين فان رفاقنا من الولاية يعرفون واجبهم جيدا • ماذا استطيع أنا ان أفعل غير واجبي • كنت أقولها ، سيدتي ، لكنها تقول •••

ولم يقدر لرأي السيد باتشز في شأن القبض على المتسللين ان يعلن فقد قاطعه السيد هولدن بأن استدار مبتعدا عنه واتجه نحو هانك وفريد قائلا :

ـــ انهضوا ! يا أولاد ، لقد أمسكنا بهما •

نهض فريد ببطء وهو يسحب جاني خلفه • ووقف هانك أيضا • نظروا الى السيد ترايمور ، ثم اشاحوا بانظارهم عنه • كان السيد ترايمور واقفـا ورأسه منكس ووجهـه السميك مكفهر بالاندحار • والى جانبه وقف مات وهو لايزال يعلك اللبان • بدا غير مبال تماما • ربما يكون قد واجه مشاكل مع الشرطة عدة مرات سابقا •

قال السيد هولدن :

ـــ خذوهما الآن وسنلتقي في مركز الشرطة • أريد ان أتأكد من وصول مساعديّ هنا الى بيتهما سالمين •

صاح جو وهو يلوح ببندقيته نحو السجينين :

ـــ هيا ، الى الامام ! تحركا !

لم ينظر فريد حين كان الرجلان يساقان وجو يتبعهما محافظا على مسافة آمنة بينه وبينهما . لم ينبس أحد ببنت شفة . كان صوت الخطوات على الصخور هو الصوت الوحيد المسموع في الكهف . وازدادت عتمة الكهف حين اجتاز المتسللان والشرطة فتحة المدخل . واختفوا بعد ذلك . وتساءل فريد مع نفسه ماالذي يفكر به السيد ترايمور الآن .

كان السيد هولدن هو أول من تكلم :

— هل أنتم بخير ؟

هز فريد رأسه . رمت جاني جديلتيها الى الخلف وابتسمت. وغمغم هانك . كان الكل يشعر بالاسى . القبض على المتسللين كان عملا مثيرا أثناء حدوثه ، لكنه يكون محزنا بعد انجازه . وتمنى فريد لو يستطيع ان ينتزع ملامح السيد ترايمور من ذاكرته.

قال السيد هولدن :

— حسنا ، لقد انتهى كل شيء . كان تكسير الاغصان لترك أثر السير خلفكما شيء ممتاز ، لقد ساعدنا ذلك كثيرا في تتبعكما.

شعر فريد انه يفترض به ان يحس بالسعادة لسماعه تلك الملاحظة غير انه لم يكن كذلك . كان يحس بفتور وفراغ كبالون مثقوب . وأدرك من تعابير وجه هانك الساكن انه يشعر بنفس الشعور . جاني فقط هي التي ظلت على طبيعتها . لقد راحت تتقافز خلف السيد هولدن حين خرجوا من الكهف ونزلوا على سفح الجبل . لا شيء يعني اي شيء عند جاني .

سار الجميع مبتعدين عن منطقـة الكهوف واتجهوا نحو الكوخ • لم يتكلم أحد منهم • كانت الشمس ترسل اشعتها فوقهم ونسمة خفيفة تربت على رؤوس اشجار الصنوبر • كانت رائحة ابر الصنوبر تملأ الهواء من جولهم • واخيرا وصلوا الى البقعة المليئة بشجيرات الغار خلـف الكـوخ • كان السيد هولدن في المقدمة وكانت جاني الى جانبه • أما فريد وهانـك فكانا يتبعانهما عن قرب •

فجأة وقف السيد هولدن ورفع ذراعه • كان هناك صوت يأتي من الفسحة ، طقطقة أغصان ، وخشخشة أعواد • بعد ذلك رآه فريد فوقف مبهـور الانفـاس وتمسـك بذراع هانـك • كان ذكر الايل واقفـا هنـاك في الفسحة • رأسه المتوج بالقرون مرفوع عاليا واذناه منتصبتان • كان قد أحس بقدومهم • ووقف يرقبهم متيقضا للخطر المداهم • كانت أشعة الشمس تسقط على جلده البني ــ الرمادي فيلتمع تحت الاشعة الفياضـة الدافئة • تحركت القرون الهائلة قليلا وانتفضت الاذنان مرة واحدة •

رأى فريد عضلات الايل تتقلص ، وبدفعة قوية واحدة من أرجله هب متقدما ، ثم ارتفع بقفزة عظيمة فوق الادغال في الجهة البعيدة من الفسحة • سمعت بعد ذلك أصوات صاخبة ثم سـاد السكون • ذهب الايل في سبيله حرا فوق سفح الجبل •

استدار السيد هولدن وابتسم قائلا :

ــ هذا هو سبب وجودي ، سبب وجود مهنتي •

وعرف فريد ماالذي عناه السيد هولدن بقوله هذا . وقال هانك : ييه ، لقد فهمت .

أما جاني التي لم تستطع تحمل بقائها خارج الموضوع فقد سألت :

— ماالذي تتحدثون عنه ؟

قهقه فريد فجأة وقال :

— القبض على المتسللين .

تطاولت جاني برقبتها وقالت :

— لست أدري ما هو المثير في القبض على ذينك الرجلين . لو كنتما قد تركتماني أساعدكما منذ البداية لقلت لكما من يكون السيد ترايمور .

— مـاذا !

جاءت الصيحة من فريد وهانك في وقت واحد . وبدا الجد على جاني وهي تقول :

— ألا تتذكر ان تلك الليلة التي ضعت فيها ؟ لقد رأيته يحمل بندقية . وكان معه الرجل الآخر أيضا . كانا يحملان البنادق وعرفت أنهما من المتسللين .

سأل فريد غاضبا :

ـ حسنا ، ولماذا لم تخبرينا بذلك ؟

قالت جاني :

ـ لم يسألني أحد .

نظر فريد وهانك الى بعضهما . كانت جاني تقول الحقيقة ولكن لاداعي لاخبارها بذلك .

وقال فريد : آه ... ياللفتيات !!

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق (٢٠٨)
لســــنة ١٩٩١م

وزارة الثقافة والاعلام
دار ثقافة الاطفال
قسم النشر

السعر: ٧٥٠ فلساً

دار الحرية للطباعة
بغداد